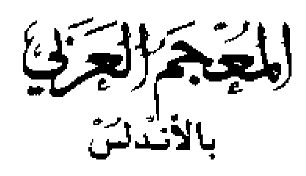
عبد العلي الودغيري

المعجم العربي
بالأندلس



ص.ب : 239 ـ الرباط .
الهاتف: 265.24


المعجم العربي
بالأندلس

الطبعة الأولى

1404 هـ ـــ 1984 م

رقم الايداع القانوني 292 / 1984

مطبعة المعارف الجديدة ـــ الرباط ـــ

بسم الله الرحمن الرحيم

اضـــــــاءة

كانت النواة الصغيرة لهذا الكتاب قد بذرت في الرسالة التي أعددتها لنيل دبلوم الدراسات العليا ونوقشت في الشهر الأول من سنة **1976** بعنوان : (أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس). ففي هذه الرسالة خصصت فصلا لدراسة (البارع في اللغة) وتطرقت خلال صفحات منه، الى أثر الكتاب في الحركة المعجمية الاندلسية. ثم حدث بعدها أن تلقيت من مجلة (عالم الفكر) الكويتية دعوة للاسهام في عدد خاص منها بحضارة الاندلس ظهر في ربيع **1981**. فكانت مناسبة للعودة الى تلك النواة الاولى وتطويرها الى بحث مستقل، شاء الله له أن يكون وأن ينشر بعنوان : (المعجم العربي بالاندلس).

ولكني بعدئذ لم أنفض من الموضوع كل يدي، فما فتئت بعض قضاياه تلاحقني باستمرار، فأعود إليها بالتمحيص والتصحيح والاكمال، وأراجعها في ضوء ما جد من معلومات، وما طبع من كتب التراث، وأضيف إليها ما كان ناقصا، وأثقّف ما رأيته معوجا، حتى آل ذلك البحث الى ما تراه، ولاسيما بعد أن

ألحقت به دراسة عن كتاب (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) للزبيدي، سبق لي أن نشرتها بمجلة (المناهل) المغربية ضمن سلسلة (دراسات معجمية)، وهي سلسلة لم أتابع حلقاتها ولكني نشرت بها أيضا دراسة ثانية عن (كتاب السماء والعالم) لمحمد بن أبان وجدت الآن من المفيد أن أعود إليها وأستغل ثمراتها وأدمج أكثر مادتها في فصل من هذا الكتاب، الذي أقدمه اليك أيها القارىء الكريم، وأنا لا أعلم أحدا قد سبق الى الالمام بموضوعه، وإن كنت مسبوقا الى البحث في جزئياته.

ذلك ما أحببت التنبيه عليه، والله ولي الاحسان والتوفيق.

كتبه عبد العلي الودغيري
بالرباط في 11 ربيع الثاني 1404 هـ
موافق 15 يناير 1984 م

مقدمـــة

يعتبر القرن الرابع الهجري، مرحلة متميزة في تاريخ الثقافة العربية بالاندلس، اذ اكتملت فيه جميع العوامل الباعثة على قيام نهضة حضارية متعددة الجوانب والآفاق. ففيه استقلت الاندلس بخلافتها رسميا عن المشرق، وتوسعت الدولة وتطلعت بطموحها السياسي الى ما وراء الجزيرة الايبيرية، وتوطدت دعائم الحكم على يد ثلاثة من كبار رجالات السلطة العظام هم الناصر والمستنصر والمنصور. وفيه بلغ العمران ذروة عنفوانه وشموخه. وفيه توسع النشاط العلمي وظهرت بوادر نضجه، وأصبح يتطلع الى تكوين نوع من السمات الشخصية التي صارت فيما بعد تميزه عن كل نشاط علمي في الاقطار الاخرى. ومنذ بداية هذا القرن، حين أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة، واضعا بذلك اطارا سياسيا فاصلا لبلاده عن التبعية للمشرق، تولدت هنالك نوايا حقيقية أخرى للامعان في هذا الاستقلال وابرازه في مختلف صوره. وبعبارة أخرى كان الناصر يعمل جاهدا لخلق كيان حضاري يطبع الاندلس بطابع خاص ويجعلها في الميدان العمراني والثقافي على نحو ما هي عليه من الناحية السياسية والعسكرية : قوية، مستقلة، موحدة، ومنافسة لعواصم الشرق الكبرى ولا سيما بغداد العباسية التي أصبح نفوذها وسلطانها يتقلصان يوما عن يوم. فكان على الأندلس الأموية أن تهيء نفسها لتقوم بالدور التاريخي الذي قامت به. وكان عليها أن تتألق وتتأنق حتى تجتذب الأنظار وتصبح حاملة لواء الحضارة الاسلامية في هذا الجناح من العالم الاسلامي.

ولا أريد هنا أن أتحدث عن كل العوامل الباعثة على ازدهار الثقافة

الأندلسية ابتداء من هذا القرن، ولا عن تلك التي عملت على توجيه هذه الثقافة نحو مسالك معينة، فذلك موضوع طالما بحثه الدارسون قدامى ومحدثون، ولا سيما أن الذي يهمني في هذا الموضوع هو جانب خاص من تلك الثقافة، ذلك هو الجانب اللغوي، وبصفة أخص الدراسات المعجمية من هذا الجانب. ولكني أريد فقط أن ألفت من جديد نظر المهتمين الى عامل أراه قام بدور خطير في تأصيل الدراسات اللغوية وتنشيطها من وجهة منهجية متميزة، ابتداء من القرن الرابع الهجري، ذلك هو التيار الذي غرسه بالاندلس ابو علي القالي (ت 356 هـ) ونَمّاه بعده تلامذته الاندلسيون وأشاعوه وتقدموا به مراحل وأشواطا بعيدة عبر طبقات وأجيال بعضها آخذٌ بتلابيب البعض، حتى صار ذلك التيار هو الغالب بسماته على مناهج الدراسة اللغوية في الأندلس خلال قرون وأحقاب. ولست أقول جديدا حين أركز على دور هذه المدرسة في توجيه النشاط اللغوي الأندلسي إذ سبق لكثير من الباحثين أن نوهوا به وأشاروا اليه بصفة مقتضبة أحيانا. ولكني أحببت أن أبادر لهذا حتى يتبين لمن تتبع هذا البحث كيف أن يد القالي ومدرسته كانتا وراء ما عرفته الأندلس من نشاط معجمي سواء وهو في مرحلة مهده أو وهو في أوج عنفوانه واكتماله.

لقد دخل القالي الى الاندلس سنة 330 هـ في أيام الخليفة الناصر، ملبيا دعوته أو دعوة ولي عهده الحكم المستنصر، أو قادما اليهما من تلقاء نفسه (على أقوال في الموضوع). وكانت مدينة الزهراء على أطراف قرطبة لم يكتمل بناؤها بعد، ولكن جامعها الكبير كان قد تم تشييده بسنة واحدة فقط (329 هـ)، فكان هذا الرجل الذي ملأ وطابه علما وصدره حفظا، أول مدرس يعتلي كرسي اللغة العربية فيها. ومنذ الخميس الأول لجلوسه في صدر حلقة الاملاء، صار تلاميذه يتكاثرون ويشيعون في البلاد. وكان قد جلب معه أحمالا من الكتب العربية القديمة في أصولها المقروءة والمسموعة والمحققة، احتفظ ابن خير الاشبيلي في فهرسته بطائفة كبيرة منها. ووجد القالي المجال مناسبا والحال مشجعة، فراح يملي ويؤلف، حتى قل مشهور في قرطبة أو غيرها الا وأخذ عنه أو سمع منه، أو أجيز بشيء مما كان يفتقر اليه. ومات القالي، فتوارث علمه ومنهجه أجيال من تلامذته، جعلوه إمامهم ومرجعهم في كل شيء يتعلق باللغة والأدب مما له صلة بالقديم.

لقد استطاع القالي أن يؤثر في مناخ الثقافة الاندلسية عن طريق :

1 ــــ كتبه الكثيرة التي حملها معه من المشرق. وهي تتضمن أمهات المصادر العربية وأوثقها وأقدمها، لأنها كانت زبدة وحصيلة الاجتهاد المشرقي في الحفظ والرواية.

2 ــــ مؤلفاته العديدة ذات الطابع اللغوي والأدبي السائرة على منوال ما حمله معه من مؤلفات المشرق. وما رواه عن كبار شيوخه أمثال ابن دريد، وابن الأنباري، ونفطويه، وغيرهم.

3 ــــ تلامذته الذين تعددت أفواجهم وطبقاتهم، وقد كان منهم شخصيات مرموقة قامت بدور كبير في إشاعة علم القالي ومنهجه، وقامت أكثر من هذا بدور أهم في الحياة الثقافية بالأندلس، أمثال الزبيدي، وابن القوطية، والفهري والأخوين ابْنَيْ أبَانَ بن سَيِّد، من المباشرين له، وأمثال أبي عبيد البكرى، وابن السيد البطليوسي، والأعلم الشنتمري، وابن سيدة، من غير المباشرين.[1]

4 ــــ منهجه الذي يقوم على التحقيق والضبط، وإتقان الرواية، والتمكن من مادة اللغة والأدب في نصوصها القديمة.

ولقد وجدت عوامل كثيرة ساعدت القالي على النجاح، وتكوين مدرسة تسير على نهجه في الاعتناء بهذا العلم المشرقي الذي حمله معه، وتداوله ومدارسته، فتغلب تيارها في الاندلس، حتى صار طاغيا على كل تيار سواه، وكان النشاط المعجمي بالأندلس يمثل زاوية واحدة من بين الزوايا العديدة التي تجلى فيها تأثير هذه المدرسة وتوجيهها، ولاسيما أن أول معجم لغوي شامل وضع هنالك كان من تأليف أبي علي القالي، وأن الذين اشتغلوا بعده بهذا الميدان من اللغويين الكبار، كان جلهم من تلاميذه، وتلاميذ تلامذته، أو ممن انحدر اليهم قليل أو كثير من ثقافة هذه المدرسة واتجاهها.

ولعله ليس من العجب في شيء، أن يتأخر ظهور المعجم اللغوي بالأندلس مدة قرنين عن ظهور صنوه بالمشرق العربي، فذلك أمر له ارتباط بالنهضة الثقافية

---

(1) لقد بسطت القول في طبقات تلاميذ القالي والرواة عنه عبر ثلاثة أجيال، في البحث الذي أعددته سنة 1975 تحت عنوان : (أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس). ونوقش في مطلع سنة 1976.

الأندلسية عامة، وأسباب تأخرها. ولا نريد الآن أن نخوض في تقديم المبررات فقد كفانا المؤرخون هذه المؤونة.

كانت الانطلاقة إذن. على يد ذلك الرجل البغدادي الوافد، الذي مات بقرطبة سنة 356 هـ وهو بعد لم يضع لمساته الأخيرة على كتابه الموسوعي الذي سماه : (البارع في اللغة) فيتعاون على تحريره وإخراجه في شكله النهائي رجلان من أقرب معاونيه وأصحابه. وتقوم حركة حول هذا المعجم، ويؤلف الزبيدي مختصره الشهير، وتتوالى الدراسات والأعمال، وتلك هي البداية التي يمكن أن نؤرخ لها بسنة 355 هـ، وهو تاريخ الفراغ من البارع. وبعدها سيذهب المعجم الأندلسي مذاهب شتى، وينخرط في مدارس واتجاهات عديدة، سنعرض للاتجاه الأول منها بشيء من التفصيل ــ ولا سيما حين يصل بنا الحديث الى كتاب البارع شارع هذا الباب وممهد الطريق ــ لأنه كان أهمها. وبعد ذلك سنلم ببقية الاتجاهات في شيء من التركيز. وقد رأينا ان يكون تصنيفنا لهذه المعاجم والدراسات حسب المناهج المتبعة في تأليفها، لا حسب تاريخ كتابتها، وذلك حتى يتبين للقارىء ما تتميز به كل مجموعة منها من خصائص وسمات.



1 ــ في اتجاه العيــــن

كانت البوادر الأولى لحركة المعجم الاندلسي تدور جميعها في فلك المعجم العربي الأول، وهو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت 170 أو 175) وكان لهذه البوادر الأولية تأثير واضح على نشاط الأندلس في هذا الميدان، اذ صار اتجاه العين هو الاتجاه البارز من بين تلك الاتجاهات التي سنعرض لها.

معجم الخليل بالأندلس :

وأما معجم الخليل في حد ذاته، فلاشك أن الأندلسيين الذين رحلوا الى المشرق العربي في طلب العلم قبل القرن الرابع الهجري، كانوا قد اتصلوا به وتعرفوا عليه، فهو أشهر الكتب اللغوية اذ ذاك وأكثرها ذكرا في مجالس العلماء، ولكن الظاهر أنه لم يدخل الى بلاد الأندلس الا في نهاية القرن الثالث أو على الأقل ذلك هو ما يجزم به أحد رجالات اللغة ومؤرخيها الاندلسيين ممن اشتغلوا بدراسة هذا الكتاب طويلا، وهو أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت 379 هـ) الذي يقول في ترجمة ثابت بن عبد العزيز السرقسطي وابنه قاسم : « ... وهما أول من أدخل كتاب العين بالأندلس ... » [2] وقد كانت رحلة هذين الرجلين الى المشرق للسماع من علمائه سنة 288 هـ، ثم عادا بعد مدة، فتوفي قاسم سنة 302 هـ وأعقبه والده ثابت سنة 314 هـ ويحدثنا الزبيدي في طبقاته بعد ذلك فيقول إن أحمد بن بشر بن الأغبس (ت 326 هـ) وعبد الملك بن شهيد (جد أبي عامر

(2) طبقات النحويين واللغويين ص 284.

الشاعر) قد تمالآ على عفير بن مسعود [3] (ت 317 هـ)، واستخرجا من كتاب العين حروفا مهملة، ونَسَخا من ذلك دفترا خاصا، ولقياه بالكتاب، وأغربا به عليه [4]. ولسنا ندري هل النسخة التي عاد اليها الرجلان هي نفسها نسخة قاسم وأبيه ثابت المذكورة، أم أنهما كانا يتوفران على نسخة ثانية، والاحتمال الأول أقوى لقرب العهد بالنسخة الأولى.

ويمر على هذه الفترة زمن طويل. ويتولى الحَكَم أمر الخلافة، وهو من أقطاب الثقافة الأندلسية في القرن الرابع، وخطه وتعليقاته حجة عند العلماء، فيحدثنا التاريخ أن خزانته العظيمة كانت تتوفر من هذا المعجم على نسخ عديدة، ولكننا لا نعرف منها سوى نسختين : أولاهما نسخة ثابت التي مر ذكرها، وهي منتسخة بمكة.. وقد آل أمرها الى هذه الخزانة. وثانيتهما نسخة القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت 355 هـ) التي كان قد قرأها وكتبها بالقيروان، وحين دخل الى مصر قابلها بنسخة ابن ولاد (ت 332 هـ). يقول الزبيدي : « فهذا كتاب منذر بن سعيد القاضي الذي كتبه بالقيروان. وقابله بمصر بكتاب ابن ولاد. وكتاب ثابت المنتسخ بمكة. قد طالعناهما في خزانة أمير المؤمنين ... » [5]. ولما كانت نسخ خزانة المستنصر تكتنفها الأخطاء والتصحيفات، وأحب أن يستخرج منها نسخة مصححة ومعتمدة، عمد الى تكوين لجنة رباعية، وعهد الى القالي برئاستها، والى ثلاثة من أشهر تلاميذه بالاشتغال في عضويتها، هؤلاء الثلاثة هم : أبو بكر محمد بن الحسين الفهري، ومحمد بن أبان بن سيد، وأخوه أحمد بن أبان ابن سيد اللخميان. وجعل مقر هذه اللجنة دار الملك بقرطبة. وكان الحكم نفسه يتردد عليها بين الحين والآخر، ويتفقد أعمالها. قال أبو بكر الفهري ــ فيما رواه عنه الحميدي ــ : « .. أمرنا الحكم المستنصر بالله رحمه الله، بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي، وابْنَيْ سيد في دار الملك التي بقصر قرطبة، وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة، في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد، فمر لنا صور من الكتاب

---

(3) ترجمنا ابن الأغبس وعفير في المصدر السابق ص 282 و 275.

(4) نفسه ص 275 و 276.

(5) انظر مقدمة كتاب (استدراك الغلط) في الملحق بهذا البحث. ورواية الزبيدى هذه تعارض ما ذكره الحميدي (الجذوة 48) من كون نسخة منذر قد جلبها أصلا من مصر.

بالمقابلة، فدخل علينا الحكم في بعض الأيام، فسألنا عن النسخ، فقلنا نحن : أما نسخة القاضي التي كتبها بخطه، فهي أشد النسخ تصحيفا وخطأً وتبديلا. فسألنا عما نذكره من ذلك فأنشدناه أبياتا مكسورة، وأسمعناه ألفاظا مصحفة، ولغات مبدلة فعجب من ذلك، وسأل أبا علي، فقال له نحو ذلك. واتصل المجلس بالقاضي، فكتب الى الحكم المستنصر رقعة وفيها :

جزى اللهُ الخليلَ الخيرَ عنا ... بأفْضَلِ ما جَزى، فهْوَ المُجازى
وما خَطَّأ الخليلَ سوى المغيلي ... وعضروطين في رَبَض الطــراز
فصار القــوم زريــة كل زار ... وسخريًّــا، وهُــزأةَ كل هازي

فلما دخلنا على المستنصر قال لنا : أما القاضي فقد هجاكم، وناولنا الرقعة التي بخط يد القاضي، وكانت تحت شيء بين يديه. فقرأناها وقلنا : يا مولانا، نحن نجل مجلسك الكريم عن انتقاص أحد فيه، لا سيما مثل القاضي في سنه ومنصبه، وإن أحب مولانا أن يقف على حقيقة ما أدركناه فليحضره وليحضر الاستاذ أبا علي، ثم نتكلم على كل كلمة أدركناها عليه فقال : قد ابتدأكم [6] والبادي أظلم، وليس على من انتصر لوم ». ثم مد الفهري يده الى الدواة وكتب أبياتا يجيب فيها منذرا، وأولها :

هَلُـمَّ فقـد دعـوتَ الـى البـراز ... وقـد ناجـزتَ قِرْناً ذا نَجــاز

وفيها يقول :

رويتَ عن الخليل الوهمَ جَهْـراً [7] ... لجهــل بالكــلام وبالمجــاز
دعـوتَ له بخيـرٍ، ثم أنْــحَتْ ... يداكَ على مَفاخِــرِهِ العِــزاز
تُهَدِّمها، وتجعــلُ ما عَلاهــا ... أسافلَها، ستُجْـزِيكَ الجَــوازي
جَزَى اللهُ الامام العدلَ عنــا ... جزاءَ الخيـر، فهْوَ له مُجازى
بِهِ وَرِيَتْ زِنادُ العلــم قِدْمــاً ... وشَرَّفَ طالبيــــه باعتــــزاز

(6) في الأصل (ابتدأ كما) وهو تصحيف، وفي إنباه الرواة للقفطي (بدأكم)
(7) وفي انباه الرواة (جهلا).

وجلَّى عن كتاب العين دَجْنا   وإظلاما، بنُور ذي امتياز
بأُستاذِ اللغات أبي عليّ   وأحداثٍ بناحية الطراز
بهم صَحَّ الكتابُ، وصيَّروهُ   من التصحيف في ظل احتراز [8]

واذا كان لهذه القصة ما تدل عليه، فان من أبرز دلالاتها ان نقاشا كان يدور حول كتاب العين في هذه الفترة من أيام الحكم، وربما كان انعقاد تلك اللجنة مناسبة فقط لتجدده واستمراره، ويظهر من الأبيات المتبادلة بين البلوطي والفهري أن كلا الرجلين كان طرفا في ذلك النقاش، وأن شخصيات أخرى قد شاركت فيه، كان من بينها رجل يسمى (المغيلي)، ولعله أبو بكر المغيلي الشاعر وقد كان في عصر الحكم [9] وآخران ترفع البلوطي عن ذكر اسمهما واكتفى بالكناية عنهما بقوله : (عضروطين) ـــ والعضروط كما في القاموس هو الأجير، والئيم ـــ وستزداد عناصر هذا النقاش وضوحا اذا نحن عرفنا أن الزبيدي كان له رأي يذهب فيه الى أن كتاب العين كما رآه ووصل اليه، لا يمكن أن ينسب للخليل الذي عرف بحدة ذكائه وفطنته وغزارة علمه، وقد لخص هذا الرأي في عبارته المشهورة فقال :

« ونحن نربأ بالخليل من نسبة الخَلَل اليه، أو التعرض للمقاومة له، بأن نقول : إن الكتاب لا يصح له، ولا يثبت عنه، وأكبر الظن فيه أن الخليل سبَّب أصله، وثقَّف كلام العرب، ثم هلك قبل كماله، فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه. فكان ذلك سبب الخلل الواقع به، والخطأ الموجود فيه » [10].

لقد عمل الزبيدي من أجل هذه الفكرة كثيرا، ودافع عنها بكل ما يملك من جهد وعقل، دافع عنها في (مختصر العين)، وفي (المستدرك في اللغة)، ثم جمع سائر ما لديه من براهين عقلية، وأدلة نصية وأودعها رسالته المعروفة بعنوان (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) [11].

---

(8) جذوة الحميدي ص 47 ـــ 48 ـــ 49 وانباه الرواة 3 / 71 ـــ 72.
(9) انظر ترجمته في الحميدي ص 368.
(10) المزهر 1 / 82.
(11) ناقش أدلة الزبيدي بعض الدارسين، منهم الدكتور عبد الله درويش في (المعاجم العربية) والدكتور حسين نصار في (المعجم العربي) ونعمة رحيم العزاوي في كتابه (أبو بكر الزبيدي)

وكان لهذا الرأي الذي تابع فيه الزبيدي ثعلباً وأبا حاتم السجستاني وغيرهما خصوم ومعارضون أندلسيون، وهم الذين أشار اليهم دون أن يسمي منهم أحدا، حين قال في مقدمة رسالته السابقة :

« وصل الينا ــ أيدك الله ــ كتابك تذكر فيه ما أُولِعَ به قوم من ضَعَفة أهل النظر، من التحامل علينا، والتسرع بالقول فينا، بما نسبوه الينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه، والتخطئة له في كثير من فصوله. وقلت إنهم قد استمالوا جماعة من الحُشْوة الى مذهبهم، وعَدَلوا بهم الى مقالتهم، بما لَبَّسوا به، وشعبوا القول فيه. وسألتَ أن أحسم ما نجم من إفكهم، وأرد ما نَدَرَ من غَرْب ألسنتهم، ببيان من القول مفصح، واحتجاج من النظر مُوضِح »[12].

ذلك هو رأي الزبيدي، وهو مشهور. وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين [13] الى القول إن شيخه القالي كان له بدوره رأي مشابه، وذلك اعتمادا على نص أورده السيوطي بالمزهر نقلا عن الزبيدي، وهو قوله :

« وحدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي قال : لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمان أبي حاتم أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار، ودفعه بأبلغ الدفع.

وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئا من الخلل، سليما من الزلل، وقد غَبَرَ أصحاب الخليل بعدُ مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعونه ... »

الى أن يقول :

« ومن الدليل على صحة ما ذكرناه، أن جميع ما وقع فيه من معاني النحو هو على مذهب الكوفيين، وبخلاف مذهب البصريين .. »[14].

وسوء فهم هذا النص آت من اعتبار أن كل هذا الكلام المتصل هو من

---

(12) انظر مقدمة (استدراك الغلط..) في الملحق

(13) منهم عبد الله درويش وحسين نصار في كتابيهما المذكورين

(14) المزهر 1 / 83 ــ 84.

لفظ أبي علي القالي، ولذلك نسب اليه ما لم يقل وحُمِّلَ رأيا لم يصرح به. والواقع أن لفظه ينتهي عند عبارة : (ودفعه بأبلغ الدفع) ولم يكن الترقيم شائعا بين القدماء حتى يفصلوا بين الجمل والأقوال، والا لوجدنا ذلك الفاصل بين كلام القالي وبين تعليق الزبيدي الذي يبدأه بتساؤله قائلا : « وكيف لا ينكره أبو حاتم... ؟ »

وجملة القول أن ليس لدينا ما يثبت بالنص أن القالي كانت له وجهة نظر واضحة في الموضوع، ولا سيما أنه نقل من الخليل ـــ حين وضع كتابه البارع ـــ منهجه في التأليف وكان به فخورا، ومادته اللغوية حتى ظن بعضهم أن البارع ما هو الا نسخة من العين[15] مستعملا في ذلك عبارته الصريحة : « قال الخليل »، وهو ما جعل الدكتور عبد الله درويش يشك في صحة ما نسب للقالي ويتساءل : كيف ينفي الرجل نسبة الكتاب للخليل وهو ينقل عنه بعباراته الصريحة ويقتبس منهجه في التأليف [16] ».

صحيح أن القالي ألف في خلافة الناصر (ت 359 هـ) وقبل البارع كتابه المسمى بالمقصور والممدود، فكان إذا نقل اليه نصا من العين قال : « قال صاحب كتاب العين » ولم ينسب الى الخليل شيئا الا ما كان منقولا عن سيبويه، فهل كان ذلك يدل على رأي قاطع، وهو أن الكتاب لا يثبت للخليل، أم يعني مجرد الشك والتحفظ على أقل تقدير، أم أنه لا يدل على شيء من ذلك بالمرة ؟. إننا لا نستطيع الجزم بشيء من هذا. وأما ما ذهب اليه الأستاذ هاشم الطعان من أن القالي قبل مشاركته في اللجنة التي ألفها الحكم للنظر في كتاب العين، كان يطعن في نسبة الخليل ولكنه بعد ذلك اقتنع بصحة النسبة وتراجع عن رأيه [17]، فهو قول يحتاج الى تأمل، ولا سيما أن الرجل كان قد ابتدأ العمل في كتاب البارع ـــ وهو الذي وقع فيه النقل بصريح العبارة ـــ منذ سنة 339 هـ [18]، أي خلال فترة الناصر، وأما اللجنة فانها لم تنعقد الا أيام المستنصر، وذلك خلال سنة ما من السنوات الواقعة بين 350 و 355 هـ أي بين السنة التي تولى فيها الحكم

---

(15) ستأتي مناقشة هذا الرأي.

(16) المعاجم العربية ص 55 ـــ 56

(17) انظر مقدمة تحقيق البارع بقلم هاشم الطعان (بيروت 1975).

(18) ذكر ابن الابار في التكملة (1 / 371 الحسيني) ان التأليف ابتدأ سنة 350 هـ وهو تحريف لا شك فيه اذ الروايات الصحيحة وردت بخلاف ذلك.

الخلافة وتلك التي فرغ فيها القالي من تسويد البارع. ومعنى هذا كله أن رأي الرجل لم تغيره مشاركته في لجنة المقابلة لأن قسما كبيرا من كتاب البارع كان يومئذ قد تم تأليفه.

وما أظن من جهة أخرى أن عمل تلك اللجنة كان من مهامه إثبات نسبة الكتاب الى الخليل ــ لأنها أساساً لم تجتمع لبحث هذا الموضوع، وانما لاخراج نسخة مصححة ــ فلو كان الأمر كذلك، لاقتنع الزبيدي وعدل عن رأيه هو الآخر بما قدمته اللجنة من حجج وأدلة. بل إني لاذهب الى عكس هذا : أي أن وقوف أعضاء اللجنة على اختلاف النسخ وشدة تباينها وتصحيفاتها، فضلا عما فيها من الرواية عن المتأخرين عن الخليل، ومن الاضطراب في تنظيم المواد قد زاد في شك بعض من كان قد عرف ذلك واطلع عليه من قبل. فهذا المستنصر نفسه ــ وهو الذي ساير أعمال اللجنة بكل دقة ــ قد أصبح في شك مُريب من أمر صاحب الكتاب. حتى رأيناه يوصي أبا بكر الزبيدي أن يتحاشى نسبة شيء الى الخليل أثناء الزيادة التي أمره بها على كتاب البارع، وأن ينسب الى (كتاب العين) ــ لا الى الخليل ــ مالم يرد ذكره عند العلماء وانفرد به (العين).

يقول الزبيدى محتجا بهذا لرأيه السابق :

« ولو لم تكن قدوتنا فيما ذكرنا، الا بمن طالع جميع العلوم، وأشرف على أصناف الفنون، وعرف أحوال العلماء وسيَرَهم ومراتبهم في العلم ومآخذهم فيه، ووقف على تاريخ أزمنتهم في مواليدهم وكتبهم، وتصرفهم في أيام حياتهم الى انقضاء أعمارهم وانقطاع مددهم : أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله رضي الله عنه، لكنا جدراء باتباع أمره، واقتفاء مذهبه. فقد عهد إليَّ أعزه الله وأدام خلافته ــ حين أمرني بتنقيح الكتاب (البارع)، وتهذيبه والزيادة في أبوابه ــ ألا أحكي فيه عن الخليل حرفا، وأن أنسب ما وقع في الكتاب عنه مما لم يذكره غيره من العلماء الى كتاب (العين)، توخيا للحق، وقصدا الى الصدق ». [19]

ومهما تكن آراء الاندلسيين في كتاب العين وصاحبه، فانه حظي منهم بالعناية التي لم ينلها كتاب آخر في الميدان المعجمي. ومهما يكن رأي القالي

---

(19) انظر مقدمة (استدراك الغلط) للزبيدي في الملحق

أيضا فهو الذي أحيا مدرسة العين بالأندلس، وألف على منوال الخليل معجمه الكبير الذي تباهى به الاندلسيون وتفاخروا.

1 ـــ 1 ـــ كتاب البارع في اللغة

لم تبق الأيام من هذا الكتاب الذي قال ابن خير الاشبيلي إنه كان في أربعة وستين ومئة جزء، ويضم 4446 ورقة، ويزيد على كتاب العين بنحو نيف وأربع مئة ورقة [20]، سوى قطعتين صغيرتين لا يكاد يتجاوز مجموعهما مئة وأربعين ورقة مخطوطة [21]. ولكي نتصور بعبارة أوضح، مقدار ما ضاع من موسوعة القالي، علينا أن نعرف أن ما تبقى منها لا يملأ جميع ما تقتضيه مادة ثمانية أحرف فقط من مجموع الابجدية العربية التي قسم اليها الكتاب. فليس بين أيدينا منها سوى قطع مبتورة من حرف الهاء، والغين، والعين، والقاف، والخاء، والدال، والطاء، والتاء.

على أنه بالامكان أن نضيف لهاتين القطعتين المعروفتين [22]، قطعة ثالثة يمكن تلفيقها من النقول الكثيرة المبثوثة في بعض الكتب الاندلسية التي حفظت من الضياع، ولا سيما ذلك الموجود منها في الحواشي التي تعزى لأبي محمد البطليوسي وهي المكتوبة بهوامش النسخة الفاسية المحفوظة بالقرويين من مختصر العين للزبيدى ومادتها غزيرة جدا. وذلك فضلا عما هو منقول في كتاب (المستدرك في اللغة) وكتاب (استدراك الغلط...) وكلاهما للزبيدى، وما هو في بعض مؤلفات ابي عبيد البكرى كـ (فصل المقال). وسنعود للحديث عن هذه النقول.

تأليفـــه

---

(20) فهرسة ابن خير ص 354 ـــ 355.

(21) توجد القطعة الاولى من الكتاب بالمتحف البريطاني وقد نشرها المستشرق (فولتون) سنة 1933 بلندن مصورة، والثانية بالمكتبة الوطنية باريس. ونحن نرمز للاولى بحرف (ف) وللثانية بحرف (ب). والقطعتان معا في 144 ورقة بينهما اربع ورقات مكررة.

(22) اعتمد الاستاذ هاشم الطعان على القطعتين في تحقيق الكتاب، وقد نشره ببيروت سنة 1975 ولكني اعتمدت أساسا في دراسة الكتاب على الأصل الخطي فجعلته مصدرا. وجعلت المطبوع مرجعا أستعين به.

لقد كانت مقدمة الكتاب في جملة ما ضاع منه، وليس بين أيدينا نص آخر نستطيع الاعتماد عليه في معرفة سبب تأليف القالي لهذا المعجم اللغوي الكبير، سوى أن نفترض الأمرين التاليين :

1 ــ فنفترض أولا، أنه الف لسد فراغ في المكتبة المعجمية بالاندلس، كان القالي أول من يحسه وهو يقوم بمهمة التدريس.

2 ــ ونفترض ثانيا أن الخليفة الناصر أمر القالي أو أشار عليه بهذا التأليف. وقد احتفظ لنا القفطي بنص يرويه عن ولد القالي يساعد على ترسيخ هذا الافتراض. قال القفطي وهو يترجم للقالي في إنباه الوراة (1 / 209) :

« وشوهد بخط ولده ما مثاله. ابتدأ أبي رحمه الله تعالى بعمل كتاب البارع في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، ثم قطعته علل وأشغال، ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، فأخذه بجد واجتهاد وكمل له. وابتدأ بنقله، فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاث مئة كتاب الهمز، وكتاب الهاء، وكتاب العين. ثم اعتلّ في هذا الشهر » وقد مات القالي بعد ذلك بأشهر قليلة.

فهذا النص وإن لم يكن فيه ما يدل على أن أمر الابتداء في الكتاب كان صادرا من الناصر، فهو صريح في كون هذا الخليفة قد أمر بإتمامه.

ولكن لم يكن الناصر هو وحده الذي أبدى اهتماما بالكتاب، بل كان ولده المستنصر أشد حرصا منه على صدوره. وغالب الظن أنه هو الذي كان أمر بتحرير ما كان منه مسودا وإخراجه من الصكوك والرقاع، فلما كمل هذا العمل جيء به اليه، فنظر فيه وأشار بمقارنته بكتاب الخليل بن أحمد. وقال ابن الابار وهو يترجم لأبي بكر محمد بن الحسين الفهري الذي كان يسمى (وراق القالي) و (مستمليه) :

« وهو تولّى مع محمد بن معمر الجياني [23] نسخ ما لم يهذب أبو علي من تأليفه الذي سماه : « البارع » وتهذيبه من أصوله التي بخطه وخطهما، مما كتبا بين يديه (...) فلما كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله، أراد أن يقف

(23) ترجمة الجياني في الصلة 2 / 487 (طبعة الحسيني) ــ النفح 2 / 14.

على ما فيه من الزيادة على النسخة المجتمع عليها من « كتاب العين » فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وست مئة وثلاث وثمانين كلمة ».[24] ويتمم ابن خير هذا النص فيشرح معنى زيادة البارع على العين قائلا :

« زاد على كتاب الخليل نيفا وأربع مئة ورقة، مما وقع في العين مهملا، فأملاه مستعملا ومما قَلَّل فيه الخليل، فأملى فيه زيادة كثيرة، ومما جاء دون شاهد، فأَمَلَّ الشواهدَ فيه » [25]. وهكذا فقد استوعب القالي ما جاء به الخليل ثم أضاف اليه من المواد والشواهد شيئا كثيرا، فتلقاه الناس بالاعجاب والاكبار حينئذ حتى قال الزبيدى : « ولا نعلم أحدا من المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره في الاحاطة والاستيعاب »[26].

ثم كان من عناية الحكم بالكتاب بعد هذا، أن أمر أبا بكر الزبيدى بتنقيحه والزيادة في أبوابه، وقد مر بنا ذلك النص الذي يقول فيه صاحب (الاستدراك) :

« فقد عهد إليَّ ــ أعزه الله وأدام خلافته ــ حين أمرني بتنقيح الكتاب البارع وتهذيبه والزيادة في أبوابه، ألا أحكي فيه عن الخليل حرفا، وأن أنسب ما وقع في الكتاب عنه مما لم يذكره غيره من العلماء الى كتاب العين .. ».

وقد تجلت ثمرة هذا العمل الذي نُدِب له الرجل في شيئين :

1 ــ ما تضمنه كتابه الذي سماه : (المستدرك في اللغة من الزيادة التي في كتاب البارع على كتاب العين) وسيمر بنا الحديث عنه.

2 ــ ما تضمنته القطعة الباريسية من كتاب البارع من إضافات لاحظنا أنها تبدأ جميعها بصيغة واحدة : « قال محمد : قال فلان... » وهي عبارة عن مواد لغوية زيدت على أصل الكتاب، ونقلت عن كبار اللغويين من أمثال : الاصمعي، وأبي زيد، الفراء، وأبي عبيدة، والأموي، والكسائي، واليزيدي، وأبي

---

(24) التكملة 1 / 375 (طبعة الحسيني) وانظر الذيل 6 / 175.
(25) ابن خير ص 354 ــ 355.
(26) الطبقات ص 186.

عبيد، وأبي بكر بن دريد الذي نقلت عنه أغلب النصوص (في 42 موضعا) [27]، فعوضت ما أهمله القالي من كتاب الجمهرة. وقد جاءت هذه الاضافات بلا استثناء في خواتم النصوص الأصلية لتكون لها بمثابة ذيل واستدراك، فبعض منها كان الغرض منه هو سد الفراغ الذي تركه القالي بإهماله بعض المواد، إما لعدم اطلاعه عليها، وإما لاعتقاده أنها وردت مهملة والحقيقة أنها مستعملة، وبعضها الآخر كان وروده بغرض التوسع والزيادة في الاستيعاب. ومن الأمثلة على النوع الأول :

أ) ما جاء في حرف القاف (ص 9 ب) :

فقد ذكر القالي مادة (زنق) ولكنه لم يذكر مقلوبها (زقن)، فلذلك أضيفت هذه المادة الجديدة على النحو التالي :

« ومن مقلوبه : ـــ قال محمد : قال الأموي : زَقنتُ الحِمْلَ، أزقُنهُ حملته. وأزقنتُ الرجل : أعنته على الحَمْل ».

ب) والموجود عند القالي في مادة (غ ر ز) هو هذه التقاليب : (غرز ـــ غزر ـــ رزغ) فيحتمل أنه أهمل من تقاليبها (زغر)، فلذلك أضافها (محمد فقال في (ص 43 ب).

« ومن مقلوبه : قال محمد : قال أبو بكر [28] : الزغر. فعل ممَات، وهو اغتصابُك الشيءَ ...... ».

فغالب الظن عندى أنْ ليست هذه الاضافات بنوعيها، التي وردت بقاياها في القطعة الباريسية ـــ ولم يرد مثلها في القطعة البريطانية ـــ سوى نتيجة العمل الذي كلف به أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى. واذا كانت صيغة (قال محمد) التي استعملها في بعض كتبه الأخرى مثل « لحن العوام » و « الطبقات » غير كافية وحدها لحملنا على هذا الرأي، ولا سيما أن هنالك رجلين آخرين كلاهما اشتغل بتنقيح الكتاب وكتابته، وكلاهما كان يسمى (محمدا) وهما : محمد بن الحسين الفهري، ومحمد بن معمر الجياني السابقَيْ الذكر، وأن للأول منهما كتابا

(27) دلت المقارنة على أن المنسوب (لابي بكر) في هذه المواد المضافة، هو لابن دريد، اذ هو بنصه في كتاب الجمهرة.

(28) هو أبو بكر بن دريد كما في الهامش السابق

حول البارع سماه : « جوامع البارع »، فان مما يزيدنا اقتناعا بأن تلك الاضافات هي للزبيدي دون سواه، هو ذلك النص السابق الذي يفيد بكل وضوح أن الحَكَم المستنصر قد أمر الرجل بإجراء تلك الزيادة، وحدد له طريقة العمل. ونحن مادمنا لا نتوفر على نص آخر يعارضه أو يقوى قوته، فسنبقى على القول بأنها من صنع الزبيدي، ولا سيما أن مضمون هذه الزيادات يطابق تلك التوجيهات التي صدرت اليه من الخليفة، وهي أن لا ينقل عن الخليل شيئا فيما يزيده، ونحن لم نجد اسم الخليل بين الاسماء التي نقل عنها [29].

منهجـــه

حين وضع القالي كتاب البارع، كانت طريقة العين في التأليف المعجمي، هي الطريقة المتبعة عند سائر علماء عصره، وحتى ابن دريد (ت 321 هـ) ـــ وهو أعظم شخصية أثرت في القالي من بين شيوخه ـــ الذي حاول أن يتخلص من نظام الخليل المعقد القائم على الأسس الثلاثة المعروفة، وهي :

- نظام الترتيب على مخارج الحروف الصوتية.
- نظام الابنية
- نظام التقاليب

لم يستطع أن يبتدع شيئا باهراً، اذ لم يطرح من طريقة العين سوى الأساس الأول فعوضه بالترتيب الالفبائي. أما الازهري (ت 370 هـ) في تهذيب اللغة، والصاحب بن عباد (ت 385 هـ) في « المحيط »، فانهما لم يزحزحا بناء الخليل قيد أنملة من مكانه، مع العلم أنهما متأخران وفاة عن القالي. بل إن ابن فارس نفسه المتوفى في نهاية القرن الرابع (395 هـ)، لم يتمكن من هدم ذلك النظام نهائيا. وهكذا فقد كان علينا أن ننتظر صدور كتاب (الصحاح) لأبي نصر الجوهري المتوفى في حدود الأربع مئة، لنشهد ثورة حقيقية على طريقة كتاب العين

---

(29) لاحظ الاستاذ الطعان بدوره وجود هذه الزيادات، ولكنه اكتفى بالقول إنها من صنع (تلميذين) للقالي، ولم يحدد ـــ انظر مقدمة تحقيقه للبارع ص 70

الذي ظل وحده يهيمن على مناهج التأليف المعجمي مدة تزيد على القرنين [29م].

فالقالي إذن باقتفائه أثر الخليل، واتباعه لطريقته بجميع أسسها، لم يكن الا رجلا متشبعا بمناهج عصره، وواحدا من أولئك العديدين الذين ترسموا خطى هذه المناهج وتابعوها. واذا كان لابد أن نلومه على شيء، فليكن ذلك الشيء هو التزامه سنن التقليد، وعدم التفاته للمحاولة الجزئية التي أقدم عليها أستاذه الدريدي، فقد كانت تمثل بداية التمرد على الخليل، وحافزا الى التفكير في تطوير منهجه القديم، بصعوباته وتعقيده، تطويرا جوهريا وليس سطحيا كما حاول أبو علي.

وما دام منهج العين معروفا لدى الناس، لا يحتاج منا الى وصف، وكتاب البارع قد تابعه فيه كما قلنا، فنحن أيضا في غنى عن وصف منهج القالي في أساسه، وستكتفي بذكر بعض التغييرات الثانوية التي حاول إدخالها.

أولا : لقد تابع البارع من حيث المبدأ كتاب الخليل في نظامه الصوتي، ولكنه خالفه بالتقديم والتأخير في ترتيب الحروف حسب هذا النظام. ومع أننا لا نملك من الكتاب الا بقايا يسيرة لا توصلنا على سبيل اليقين الى معرفة الترتيب الحقيقي الذي سار عليه، فان المستشرق (فولتن Fulton) في تقديمه للقطعة التي نشرها بطريقة التصوير. قد افترض أن ترتيبه للحروف كان على النحو التالي :

(هـ ـــ ح ـــ ع ـــ خ ـــ غ ـــ ق ـــ ك ـــ ض ـــ ج ـــ ش ـــ ل ـــ ر ـــ ن ـــ ط ـــ د ـــ ت ـــ ص ـــ ز ـــ س ـــ ظ ـــ ذ ـــ ث ـــ ف ـــ ب ـــ م ـــ و ـــ ا ـــ ي.)

أما حرف الهمزة، فذكر أنه لم يحدد له حيزا.

ولكن الذي يرجع الى طالعة (المقصور والممدود) الذي ألفه القالي قبل كتاب البارع، سيرى أن الترتيب الذي اتبعه فيه يبطل ما ذهب اليه (فولتن) ومن تابعه في ظنه. فقد نص أبو علي في كتابه الأول أنه سلك التسلسل التالي :

(29م) هذا لا يعني أن المعجميين العرب لم يعرفوا الترتيب الألفبائي قبل صحاح الجوهري ، فقد عرفوه في الرسائل اللغوية المؤلفة حسب الموضوعات ، كما عرفوه في كتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني ت 213 هـ. إلا أن ذلك لم يشع ولم ينتشر انتشار الطريقة الخليلية. وكتاب (الجيم) نفسه لم يلتفتوا إليه التفاتهم لكتاب العين. مع العلم أن طريقة (الجيم) لم تكن محكمة غاية الاحكام لأن المؤلف لم يراع في ترتيب المداخل سوى الحرف الأول منها لا غير.

(الهمزة — هـ — ع — ح — غ — خ — ق — ك — ض — ج — ش — ي — ل — ر — ن — ط — د — ت — ص — ز — س — ظ — ذ — ث — ف — ب — م — و).

ونص على أنه لم يجعل للالف حيزا [30].

ومن المفروض — بناء على هذا — أن يكون أبو علي القالي قد طبق الترتيب نفسه في كتابه الثاني وهو البارع في اللغة. لا أن يكون قد اختار ترتيبا جديدا. والذي يؤيد ما نذهب اليه هو شهادة ولد القالي الذي سبق ذكرها، وفيها يقول عن البارع : « فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، كتاب الهمز، وكتاب الهاء، وكتاب العين » [31].

فدل ذلك على أن الأحرف الثلاثة الاولى — على الأقل — كانت في البارع مرتبة على طريقة (المقصور والممدود).
فاذا قارنّا بعدُ هذا الترتيب بما سلكه الخليل وهو على هذا النحو :

(ع — ح — هـ — خ — غ — ق — ك — ج — ش — ض — س — ز — ط — د — ت — ظ — ذ — ث — ر — ل — ن — ف — ب — م — و — ا — ي).

وجدنا أنه يخالفه في مواضع كثيرة، بل إنه يخالف أيضا طريقة سيبويه التي ترتب الأصوات على الشكل الآتي :

(الهمزة — هـ — ا — ع — ح — ع — خ — ق — ك — ج — ش — ي — ض — ل — ن — ر — ط — د — ت — ز — س — ص — ظ — ذ — ث — ف — ب — م — و).

ومع ذلك فإن ما صنعه القالي يعد هامشيا، لأن الأساس — وهو النظام الصوتي — ظل قائما.

---

(30) مقدمة (المقصور والممدود) ص 10 — المخطوطة المغربية المصورة على الشريط بالرباط، تحت رقم 967 عن أصل للمرحوم محمد الجواد الصقلي.

(31) انباه الرواة 1 ص 209 — وانظر التكملة 1 ص 371.

ثانيا : أخذ القالي بالمبدأ العام الذي سار عليه الخليل في تبويب الكتاب، حسب الابنية الأساسية الأربعة التي تنقسم اليها الألفاظ العربية، وهي : الثنائي ــ الثلاثي ــ الرباعي ــ الخماسي [32]. ولكنه خالفه عند التطبيق في بعض الجزئيات الداخلية :

أ) فقد جمع الخليل في باب الثنائي ما كان على حرفين خفيفين مثل (مع ــ كم) أو على ثلاثة أحرف شدد الثاني منهما مثل (شق ــ عق) أو أربعة أحرف اثنان منها مكرران مثل (قد قد) [33].

أما القالي فانه خصص باب الثنائي لما كان حرف منه مشددا مثل (عض ــ عب) وأطلق عليه اسما جديدا يوافق هذا المضمون، وهذا الباب هو « الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة، لتشدد أحد حرفيه ». ولو أنه أدمجه في باب الثلاثي الصحيح بصفة عامة، لكان أجدى وأنسب.

وأما الثنائي الخفيف المكون من حرفين، أحدهما معتل، فقد ألحقه بباب سماه « الحواشي » وهو الباب الذي يقابل « اللفيف » عند الخليل. كما ألحق ما جاء منه مكررا مثل (تغ تغ) بباب (الأوشاب). ولست أدري ما ذا صنع بالثنائي الخفيف المؤلف من حرفين صحيحين مثل (بل ــ هل ــ مع ــ عن ... الخ) ؟، إذ لا نجد كلمة من هذا النوع في الأبواب التي بين أيدينا من الكتاب [34]، اللهم إذا كان بدوره قد أدخل في باب (الأوشاب)، لأن من الثنائي المذكور ما هو دال على الزجر مثل (صه)، وما هو منقوص مثل (يد ــ دم ــ فم...) و(الأوشاب) باب جعل للزجر والمنقوصات كما سنرى.

ب) جعل الخليل باب (اللفيف) خاصا بالكلمات التي تضمنت حرفين أحدهما معتل [35] أو ثلاثة أحرف منها حرفان معتلان.

---

(32) لم يرد شيء من الخماسي بين المبقي من الكتاب، ولكن تعليقات الزبيدي في كتاب (المستدرك في اللغة) وتفنونه، تدل تعطلق الصراحة على أن القالي لم يغفل بكتابه ذلك البناء الاساس من أبنية العربية.

(33) انظر (المعاجم العربية) لعبد الله درويش ص 17.

(34) أبواب البارع حسب التتابع هي : الثنائي في الخط ــ الثلاثي الصحيح ــ الثلاثي المعتل ــ الحواشي ــ الأوشاب ــ الرباعي ــ الخماسي.

(35) أنظر (المعجم العربي) لحسين نصار 1 ص 249.

أما القالي، فقد ألحق هذا الباب بالثلاثي المعتل، وأطلق عليه اسما جديدا وهو « باب الحواشي »، قال : «هذه أبواب تختص بالثلاثي المعتل، مما جاء على حرفين أحدهما معتل، أو ثلاثة منها حرفان معتلان، وسميناه باب الحواشي ». ومن أمثلة ما جاء فيه من المواد : (ها ــ واه). وقد أكد الزبيدي هذه الحقيقة ــ إن كانت في حاجة إلى تأكيد ــ فقال بعد أن ذكر « باب اللفيف » : «سمى إسماعيل هذا الباب : باب الحواشي » [36].

ج) زاد القالي بابا جديدا على كتاب العين، وجمع فيه ألفاظ الحكايات، والزجر والأصوات، والمنقوصات، (وما أعتل عينه، أو فاؤه ولامه، أو فاؤه وعينه، أو كان فاؤه وعينه، أو لامه وعينه بلفظ واحد) وسماه : « باب الأوشاب » وجعل مكانه من ترتيب الأبواب فيما بعد الحواشي وقبل الرباعي. وهو كما نرى خليط من أبواب أخرى : من الثنائي الخفيف، والثنائي المكرر، والثلاثي المعتل، واللفيف (الحواشي)، والرباعي، إذ نجد فيه من المواد مثل (طق ــ قق ــ تغ تغ ــ عوى ــ غطغطة ــ واقة..). وقد عمد إلى هذا الباب فقسمه بدوره تقسيما د حليا حسب أبنية ألفاظه، إلى ثنائي وثلاثي (صحيح ومعتل)، ورباعي.

وهكذا أصبحت مواد الثلاثي في هذا الكتاب موزعة على خمسة أبواب هي :

ــ الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة (مثل جدّ ــ جرّ)
ــ الثلاثي الصحيح
ــ الثلاثي المعتل
ــ الحواشي (وهو اللفيف)
ــ الأوشاب (وتتضمن كلمات ثلاثية اعتل فيها حرفان أو تكرر حرف منها).

وقد كان من المفروض أن تقود مثل هذه التغييرات التي أدخلها القالي على أبنية الخليل إلى بعض الايجابيات التي من شأنها أن تهذب نظام العين وتصلح

---

(36) المستدرك للزبيدي ص 197.

خلله واضطرابه، ولكن الواقع يشهد أنها كانت عكس ذلك تماما، فزادت الأمر تعقيدا، وملأت البارع خللا واضطرابا. ونحن مع تحفظنا في إصدار أحكام سريعة على كتاب لم يصل إلينا منه إلا نزر قليل، ولم يتمكن صاحبه من تنقيحه وتحريره في صيغته النهائية، وربما لم يتمه أصلا، لا نرى مانعا من إعطاء بعض الأمثلة التي استخرجناها مما بين أيدينا من الكتاب، وهي تثبت مدى الارتباك الذي وقع فيه القالي وهو يحاول تطبيق تغييراته الجديدة، وهو شيء لا يغتفر وجوده في معجم أراد تهذيب العين وتفادي أخطائه.

فمن هذه الأمثلة التي تجمعت لدينا نلاحظ :

1 ــ أنه وقع للقالي خلط واضطراب في تنظيم الألفاظ الثلاثية المعتلة بحرف واحد، أو حرفين اثنين، فهي لا تستقر في باب معين. وهكذا نجد أن (هوى ــ وهى ــ وق ــ قوى) قد ذكرت في الثلاثي المعتل من حرفي الهاء والقاف. وحق هذه الألفاظ جميعا أن ترتب في باب الحواشي (أي اللفيف) حسب التقسيم الذي وضعه. وحين نبحث بعد ذلك عن كلمة أخرى لها نفس خصائص الكلمات السابقة وهي كلمة (وغى)، فسنجدها في باب الأوشاب. وهنا نضع أيدينا على نقطة الضعف في نظام البارع، إذ نحس أن القالي قد احتار في تعيين المكان المناسب لهذه الكلمة ذات الخاصيتين : الأولى أنها تتضمن حرفين معتلين، فحقها لذلك أن توضع في باب الحواشي (اللفيف)، والثانية أنها تدل على صوت (أصوات الناس)، فحقها إذن أن تكون في باب الأوشاب. وقد اختار لها أمام هذه الحيرة المكان الثاني. ولكن هذا الاختيار أوقعه في مأزق خطير من ناحية أخرى :

ــ فهو بهذا الاختيار يضطر إلى فصل الكلمة عن مقلوبها وهو (غوى) الذي لا يدل على معنى الصوت، وهكذا صنف اللفظ الأخير في مكان بعيد وهو باب الثلاثي المعتل، وبه يكون قد خرق بندا أساسيا من بنود معجمه، وهو إتباع ذكر الكلمة بذكر مقلوبها.

ــ أنه بذلك فصل بين كلمتين لهما نفس الخصائص : (فغوى) مثلها مثل (وغى) في كونهما معا من اللفيف (أو الحواشي) ــ ولاحظ أيضا أنه ارتبك في

تصنيف الكلمة، فوضعها بدورها في باب المعتل عوض باب الحواشي ـــ

ـــ أنه اضطر لفصل كلمة (وغى) عن مشتقاتها التي لا تدل على الصوت. وهكذا عمد الى كلمة (الأواغي) فألقى بها في باب المعتل، بعيدا عن شقيقاتها.

وقد حصل للقالي نفس الارتباك بالنسبة لكلمتين أخريين :

أما الأولى وهي : (غوغاء) ـــ بمعنى الجراد والرعاع ـــ فلها صفتان :

الصفة الأولى : أنها تتضمن حرفين مكررين جاءا بلفظ واحد وهو الغين المعجمة، فحقها بذلك أن تصنف بين مواد الأوشاب.

الصفة الثانية : أنها تتضمن حرفا معتلا، فحقها بذلك أن تصنف مع مواد الثلاثي المعتل.

وأما الكلمة الثانية وهي (القَوْقاة) ـــ بمعنى صوت الدجاج، ويشتق منها فعل يُقَوْقِي ـــ فلها ثلاث صفات :

الصفة الأولى : بها حرفان مكرران جاءا بلفظ واحد وهو القاف.

الصفة الثانية : دلالتها، فهي صوت.

وهاتان الصفتان تخولانها أن تكون في باب الأوشاب.

الصفة الثالثة : بها حرفان معتلان، فحقها أن تكون في الثلاثي المعتل.

وقد تخلص القالي من حيرته المركبة هذه، فجعل الكلمتين معا في باب الأوشاب اعتباطا، لأن المقاييس التي وضعها لم تكن مضبوطة، إذ سرعان ما انهارت تماما أمام الألفاظ ذات الصفات المتعددة.

ولئن كان هنالك مبرر ـــ وإن ضعف ـــ لحيرة الرجل إزاء اللفظين المذكورين، فإن الأمر ملتبس تماما بالنسبة لكلمة (الوَاقَة) التي تعني طيرا من الطيور المائية في كلام أهل العراق، فقد جعلها في باب الأوشاب ـــ وليس لها صفة تخولها ذلك ـــ وحقها الطبيعي أن تكون في باب المعتل من الثلاثي.

على أنه قد حصل عكس هذا بالمرة، بالنسبة لألفاظ أخرى صحيحة

ومعتلة كان حقها جميعا أن تصنف في باب الأوشاب لدلالاتها الصوتية، ولكنها وزعت على أبواب أخرى اعتبارا للبناء الذي تنتمي إليه، وهذه أمثلة على ذلك :

اللجة : (ضجة القوم) ــ وردت في الثنائي في الخط

النشيج : (من نَشَجَ الانسان بالبكاء، ونَشَجَ الحمارُ : إذا أتى بنوع خاص من الاصوات) ــ وردت في الثلاثي الصحيح.

نَتَغ : (أتنغ الرجلُ : إذا ضحك مستهترا) ــ وردت بالثلاثي الصحيح.

غَنّى : (والتغني هو الترنم) ــ وردت بالثلاثي المعتل.

غَوَّث : (ضُرِب فغوَّث تغويثا) ــ وردت بالثلاثي المعتل.

2 ــ أنه احتار أيضا في تصنيف الكلمات الرباعية التي تكرر فيها حرفان، فجعل بعضها في أبواب الأوشاب بصفتها تحكي أصواتا معينة، ولكنه جعل بعضها الآخر في أبواب الرباعي بصفتها مكونة من أربعة حروف أصلية. وهكذا وجدنا أن (غطغطة ــ تقضقض ــ قرقر ــ نقنق ــ قطقطة ــ قفقفة ــ قبقب ــ وقوقة) كلها في أبواب الأوشاب، لأنها تعبر عن أصوات معينة، وحروفها مكررة. ولكننا وجدنا كلمات كثيرة من هذا النوع مذكورة في أبواب الرباعي، مع أنها بدورها تحمل هذه الصفة الصوتية، ومن الأمثلة على ذلك : (القشقشة ــ الغرغرة ــ الضغضغة ــ اللقلقة ــ غضغض).

هذا مع العلم أن كل الألفاظ الرباعية التي هي من هذا القبيل أو جلها، تدل بالحقيقة أو المجاز على أصوات أو حركات تُحدِث أصواتا، كالخَرْخرة ــ والنغنغة ــ والكركرة ــ والقضقضة ــ والصلصلة ــ والجعجعة، وأمثالها. فكان حق أبي علي لو أراد مراعاة هذه الخاصية في التبويب، أن يضم إلى باب واحد كل هذه الألفاظ. وكان حقه لو أراد مراعاة بناء الكلمة أن يضمها سائرها كذلك إلى باب الرباعي.

هذا وإن الفكرة التي حاول القالي تطبيقها في هذا الكتاب، وهي جمع الألفاظ الدالة على الصوت في باب خاص (وبإزائها المنقوصات، والزجر، واللفيف، والمكرر ..) على ما تؤدي إليه من لف وتعقيد لا يُؤمن معهما الخطأ والتكرار والاضطراب، تبدو في حد ذاتها، ومن ناحية أخرى، غير قابلة للتطبيق، لا

بالنسبة للبارع وحده، ولكن بالنسبة لسائر المعاجم العربية التي تجعل من بين أسسها مراعاة تقاليب الكلمة، ومراعاة أصولها الاشتقاقية. أما التقاليب، فمراعاتها تكون بأن تذكر عقب المادة سائر ما تنقلب إليه، حسب القاعدة التي وضعها الخليل. فبعد ذكر مادة (صفق) الثلاثية، ينبغي الاتيان بالتقاليب الخمسة الباقية إن كانت جميعها مستعملة في اللغة، أو ببعضها إن لم تكن جميعها مستعملة.

وأما مراعاة الأصول الاشتقاقية ــ وهي خاصية تشترك فيها كل المعاجم العربية القديمة ــ فتكون بجمع سائر المشتقات الموجودة تحت عنوان المادة الواحدة، بحيث إذا طلب المرء شيئا منها وجده في موضع واحد، فساعده ذلك على ملاحظة العلاقة الوشيجة الموجودة بين سائر مفردات المادة. وهكذا تجمع هذه المعاجم تحت عنوان (صفق) مثلا، كل لفظ مشتق منها، فعلا كان أو اسما أو صفة، بحيث هنالك تجد (الاصفاق) والصَّفقة) والتَّصفيق) والصّفاق) وهلم جرا.. وهذا أمر جوهري، تختلف فيه المعاجم العربية عن معاجم اللغات الاوربية التي تصنف الألفاظ حسب حرفها الأول دون اعتبار جذرها أو أصلها الاشتقاقي. ولذلك فأنت تجد فيها المداخل التالية، على سبيل المثال، موزعة على أبواب شتى : فلفظ Porter تجده في باب P و apporter في باب a و emporter في باب e و Rapporter في R و comporter في c و importer في i و exporter تجده في باب e و supporter في باب s و transporter في باب t ...الخ فإذا أحببنا أن نمثل لهذه الطريقة بمادة عربية فسيوضع لفظ (ارتبط) في باب الألف، و (ربط) في باب الراء، و(ترابط) في التاء، و (مربوط) في الميم، وتجد (الرابط) في مكان بعيد عن (الرباط) تفصل بينهما كلمات أخرى غريبة عن المادة مثل : (الراجحة ــ الرافلة ــ الراصدة ــ الراكدة ...الخ).

وعلى كل حال لقد أخل القالي بعمق المنهج الذي أحب أن يسلكه في كتابه حين فصل أولا بين الكلمة الدالة على الصوت التي وضعها في باب الأوشاب وبين سائر تقاليبها، لأن تلك التقاليب ليس فيها دلالة صوتية، فـ (صفق) التي تفيد معنى الضرب مع التصويت، ستفصل بالضرورة عن (قفص) التي لا تفيد هذا المعنى، وحين فصل ثانيا بين هذه الكلمة الصوتية وسائر مشتقاتها الاخرى للسبب نفسه. ونحن نسوق على ذلك مثالين :

أ) فقد ذكر في باب الأوشاب (القَطْقَطَة) وقال إنها تعني صوت القطاة، أما بقية مشتقات المادة وسائر معانيها الاخرى، فقد ذكرها في باب الرباعي، حيث أتى على ذكر :

القَطْقَطة : ـــ اســم

القَطْقَـط : ـــ المطر الضعيف

ـــ صغار البَرَد

التَقَطقُط : ـــ الذهاب في الأرض

ب) ذكر في باب الأوشاب أيضا كلمة (قَضْقَض) التي هي حكاية لصوت. ثم ذكر في الرباعي هذه المادة بنفس المعنى مع إضافة معان جديدة على هذا النحو :

يُقضقض : ـــ يصوت

القضقضة : ـــ كسر العظام والاعضاء

القضقاض : ـــ من الأسد : الحَطَّام

هذا فضلا عن المثال الذي سبق ذكره حين قلنا إنه فصل بين (الوَغَى) ذات المعنى الصوتي الحركي، و (الأواغي) التي لا تفيد ذلك.

3 ـــ ومن هذه الملاحظات التي تتناول صميم المنهج، وتدل على بعده عن الدقة والاحكام، ما نراه في سائر أبواب الرباعي، وذلك أنه لم يراع في ترتيب الكلمات الرباعية أكثر من حرفين، في حين كان الجوهري الذي أتى بعده، أدق منه تنظيما إذ التزم الحرف الثالث في هذا النوع من الكلمات، كما التزم الحرف الرابع في الخماسي.

وهكذا وجدنا القالي في (باب العين والراء مع سائر الحروف) في الرباعي الكلمات التالية :

(طرغم ـــ غطرم ـــ غرغر ـــ غطرس ـــ غربل ـــ برغل ـــ غطرف ـــ غذمر ـــ زغرب ـــ برغز ـــ). فإذا كان الجامع بين هذه المفردات في نظر القالي هو حرفا الغين المعجمة والراء، فإن ذلك في الواقع ليس كافيا في التنظيم، لأن ذَيْنك الحرفين موجودان في كلمات أخرى ذكرها في غير هذا الباب. منها ما في

باب (الغين والشين مع سائر الحروف في الرباعي) مثل : (شغرب ـــ شغبر ـــ شنغر ـــ طرغش ـــ غشمر ـــ برغش ـــ). وما في باب (الغين والضاد من الرباعي) مثل : (غرضف ـــ ضرغط ـــ ضرغد ـــ غضرم ـــ ضرغم) وما في باب (الغين واللام) مثل (غرمل). فكل هذه الكلمات تشترك في حرفي الغين والراء، ومع ذلك وزعت على مواضع شتى، دون ضابط ولاحد.

4 ـــ وهناك بعد ذلك ملاحظات أخرى ثانوية، قد يكون مرجعها مجرد النسيان والغلط، أو أن الكتاب لم ينقحه ولم يراجعه صاحبه كاملا. ومن هذا القبيل ما نراه من تكرار بعض المواد، كما حدث في مادة (غذم) التي ذكرت مرتين. وقد لاحظ الزُّبيدي أنه أعاد باب الهاء والعين في الرباعي من حرف الهاء. بعد أن مضى ذكره كله في باب الرباعي من حرف العين [37]. على أن هناك نوعا من التكرار ربما لم يكن السبب فيه ما ذكرنا، وهو ما نراه قد حصل في الكلمات الفارسية التي جمعها القالي في باب خاص ألحقه بآخر الكتاب، والحال أنها قد ذكرت في أبوابها. وهذه نقطة سنعود إليها.

بعض خصائصه

ليس بوسعنا أن نورد هنا نماذج من الكتاب لابراز بعض خصائصه، وإنما نكتفي بنتائج دراستنا لهذا المعجم الكبير فنقول إن من مميزاته الواضحة :

1 ـــ أنه يكثر من النقل عن كبار اللغويين، حتى نكاد لا نجد لفظا من اللغة غير منسوب لواحد من أمثال أبي عبيدة، وأبي حاتم، وابن الأعرابي، ويعقوب، والنضر بن شميل، والباهلي، والخليل، والاصمعي، وابن دريد، والفراء، وثعلب، والزجاج، والرياشي، والرزاحي، وقطرب، والاموي، واللحياني، وسواهم من المشهورين أو المغمورين. هذا فضلا عن الشواهد الغزيرة المنتزعة من القرآن والحديث والشعر والامثال والحكم والخطب، وكلها منسوب الى أصحابه. وهذا من الخصائص التي لاحظها القدماء ورأوا أنها مما يتميز به البارع عن العين. قال

(37) المستدرك ص 187.

الزبيدي : «وجمع فيه كتب اللغة، وعَزَا كل كلمة الى ناقلها من العلماء، واختصر الاسناد عنهم. »[38]. وقال ابن خير : « .... مما وقع في العين مهملا، فأملاه، مستعملا، ومما قَلَّل فيه الخليل، فأملى فيه زيادة كثيرة، ومما جاء دون شاهد، فأَمَلَّ الشواهدَ فيه »[39].

2 ـــ ومن ظواهر الكتاب البارزة، اعتناؤه بضبط المواد عن طريق التنصيص بالعبارة، غير مكتف بالحركات والشكل الذي قد يصيبه التحريف والتصحيف. وتلك ميزة حميدة لم يكن الخليل قد اصطنعها من قبل، وكان بها سابقا للجوهري الذي جاء بعده ففعل فعله، وإن كان لم يصرَّ عليها إصرار القالي كما يقول الدكتور حسين نصار[40].

3 ـــ اعتناؤه بلغات القبائل العربية ولهجاتها من جهة، وبالعامي والفصيح من اللفظ من جهة ثانية. فهو ينقل كلام الكِلابيِّين، ويحكي عن القَيْسيين، وأهل الطائف، ولغة اليمن، وكلام أهل الحجاز، وأهل البصرة، والعراق، والشام، والبدو، والحضر، والأمثلة على ذلك كله متعددة في ثنايا الكتاب. ولا يخفى ما لهذه النقطة من أهمية في دراسة التطور التاريخي للألفاظ العربية، وما صاحب هذا التطور من تغيرات دلالية. ولغة كل قوم كما هو معلوم هي مفتاح حضارتهم، ولا سيما أن القالي قد اهتم أيضا بلغة العامة وأهل الحواضر. فهو يحكي لنا مثلا أن أهل السواد كانوا يسمون مفاخر الديار في المزارع بالأواخِي، وأن طيراً من الطيور المائية في العراق كان يسمى عندهم (الوَاقَة)، إلى غير ذلك من الأمثلة.

4 ـــ اعتناؤه بالمُعَرَّب من الألفاظ، وما هو دخيل وأعجمي، فهو مثلا يحدثنا عن بقايا اللغة الحِيريَّة العِبَاديَّة في العراق، ومنها كلمة (شَشْقَل) التي لَهَجَ بها صيارفتهم في تعيير الدنانير (ص 97 ف)، وعن ارتباط لغة الروم بلغة الشام، وما خلفته في لهجتها من تأثير، فقد كانت كلمة (البطريق) مثلا تعني القائد بلغة

---

(38) الطبقات ص : 186

(39) ابن خير ص : 354

(40) المعجم العربي 486/2 ـــ ولم يحترس الدكتور أحمد عبد الغفور العطار عندما قال : إن طريقة الجوهري في ضبط الألفاظ بالنص والعبارة، غير مسبوقة، انظر كتابه (الصحاح ومدارس المعجمات العربية) ص 154

أهل الشام والروم معا، (ص 104 ف) [41]، وكانت كلمة (فندق) تعني في اللهجة الشامية خاناً من الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطريق (ص 105 ف). و (القَرَسْطون) بفتح القاف والراء وضم الطاء، تعني القَبَّان (الميزان) في هذه اللغة أيضا (ص 104 ف). ولا شك أن لغة الروم قد أثرت كثيرا في أهل الشام بحكم الارتباط التاريخي بينهم وبين البيزنطيين.

وينبهنا القالي في كثير من الأحيان الى بعض الكلمات الفارسية المعربة، كالنمرق، والصولجان، وإلى كلمات سريانية، كقنطار التي تعني عندهم مئةَ جلدِ ذهباً وفضةً، وهي كذلك في لغة (بربر) تعني ألف مثقال من ذهب وفضة [42]، وكلمات أرمنية مثل : (القِرْمِز) بكسر القاف والميم، التي تعني صبغا أحمر يتخذ من عصارة دود معين. وهناك كلمات نبطية، وأخرى مشتركة بين لغتين، بالاضافة الى الكلمات التي يُكْتفي فيها بالنص على أنها أعجمية دون تفصيل.

وقد اعتنى القالي عناية خاصة بالالفاظ الفارسية المعربة، فبعد أن نثرها في ثنايا الكتاب، ووزعها على الأبواب المناسبة لها، عاد في الأخير الى جمعها في معجم صغير ألحقه بآخر البارع وسماه : « باب ما جاء معربا من كلام الفرس »، وذلك ما يكشف عنه كتاب (المستدرك في اللغة) لابي بكر الزبيدي، وهو شيء لم يسبق أن نبه عليه أحد من الدارسين. قال الزبيدي : « ولاسماعيل في اخر كتاب البارع باب تَرْجَمةُ : باب ما جاء معربا من كلام الفرس، وقد مر من هذا الباب شيء في أضعاف الديوان منه، وأبواب بعدها أنا ذاكرها هاهنا، وهي زائدة على أبواب العين سوى ما وقع في حشو الديوان منه » [43]. ثم أخذ في استعراض هذه الكلمات التي رتبها من جديد حسب طريقة العين، بادئا بما جاء من ذلك على حرف الحاء، فالهاء، فالخاء، فالغين، فالقاف، فالكاف، فالجيم، فالصاد، فالهاء، فالراء، فاللام، الذي توقف الكلام عنده فجاءة دون أن يتم ودون أن يذكر باقي

(41) وذكر الزبيدي في (المستدرك) فيما نقله عن القالي في (باب المعرب من الكلام الفارسي) أن كلا من (البطريق) و (الفندق) لفظ فارسي الأصل.

(42) سقطت الفقرة المتضمنة لهذا الكلام من طبعة هاشم الطعان عند مادة (قنطر) وهي موجودة في الاصل المخطوط (ص 101 ف).

(43) جاء أول هذا الكلام في نهاية ص 201 من مخطوط (المستدرك ...) وجاء تمامه في بداية ص 198 منه، وذلك لفرط ما أصاب النسخة الوحيدة الموجودة من الكتاب (وهي نسخة القرويين رقم 64) من خلط.

الحروف الأخرى للنقص الموجود في أصل مخطوط (المستدرك..). وقد استغرق ما في هذه الحروف العشرة صفحتين فقط من صفحات الكتاب، مما يدل على أن الذي ضاع من هذا الباب المخصص للكلام الفارسي المعرب لا يتعدى في التقدير ثلاث صفحات أو أربعا من حجم (المستدرك ..). على أن الذي نقله الزبيدي، ليس هو كل ما جمعه القالي في البارع، بل هو حسب النص السابق ليس إلا جزءاً منه، ذلك أنه طرح من الأصل الذي أورده أبو علي شيئين : طرح منه الكلمات التي سبق ذكرها في أضعاف (المستدرك..) ليتجنب التكرار، وطرح منه الكلمات التي توجد في العين، لأن غرضه الأول والأساس، هو ما زاده البارع عليه وإظهاره. وإذن فقد كان (باب المعرب من كلام الفرس) واقعا بالبارع في صفحات عديدة، تصرف الزبيدي فيها بالحذف والاختصار.

على أن وضع القالي لهذا الباب بآخر كتابه، لم يكن القصد منه سوى تقريب المادة الى يد متناوليها ــ ولو أن في الأمر تكرارا ــ وتذليل المشقات على طالبي شيء من هذا الباب، والا فما تضمنه من المواد قد سبق تفصيله وإدراجه في ثنايا الكتاب، يدل على ذلك هذا الجزء المتبقي منه، فمنه نعرف أن كلمات كثيرة كالفندق، والزنديق، والصولجان، والصهريج، والجبص، والدفتر، والديباج، والقيراط... الخ، واردة في القطعة الموجودة من البارع، موزعة على الأبواب.

5 ــ ومن خصائص الكتاب أخيرا، ميله الى الاستقصاء والاستيعاب، وهي من الأشياء التي شهد بها للبارع كل علماء الأندلس وغيرهم ممن رأى الكتاب كاملا، أو نقل عنه أو سمع به، واعتبروها من مزاياه حين قارنوه بكتاب العين. قال الزبيدي « وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة، ولا نعلم أحداً من العلماء المتقدمين والمتأخرين ألف نظيره في الاحاطة والاستيعاب »[44]. وكذلك قال المقري في النفح (4 ص 74) وابن العماد في الشذرات (3 ص 18) وابن خلكان في الوفيات (1 ص 226). وحكى ابن خير الاشبيلي في فهرسته نحو ذلك (ص 355)، بل لقد قارنه الشيخ نصر الهوريني بالقاموس المحيط، فقال يرد على الفيروز بادى في ادعائه التفرد والاستيعاب والجمع وأن كتابه خلاصة ألفي

(44) الطبقات ص 186، ونقل القفطي عنه هذا الكلام (الانباه 1 / 209).

كتاب، ما نصه : « على أن المصنف لم يستوعب ما في كتاب واحد، وهو كتاب البارع لابي علي القالي. جمع فيه كتب اللغة بأسرها على حروف المعجم »[45] وقد كان من الطبيعي أن يخرج هذا المعجم الذي استمر تأليفه حوالي ستة عشر عاما، يتخللها انقطاع بين الحين والآخر، والذي نفض عليه القالي خزانة الحكم المستنصر الملأى بالذخائر ــ كما يقول صاعد البغدادي ــ أن يخرج في مثل الحجم الكبير الذي تحدثوا عنه.

هل البارع هو كتاب العين ؟

بعد هذا الذي ذكرناه عن منهج الكتاب، ووصفناه من خصائصه، يبقى أن نثير نقطة وردت في مقدمة طبعته التي كتبها الاستاذ هاشم الطعان، وملخصها أن بارع القالي ما هو الا كتاب العين للخليل بن أحمد. وهو رأى تحمس له صاحبه وتطرف فيه حتى قال : « وبهذا يكون البارع أقدم نسخة وصلت الينا من كتاب البارع »، ولكن مع هذا الحماس لم يأت بدليل ولا حجة، وغاية ما قال، إنه حين قابل بين النصوص المنقولة في البارع عن الخليل وتلك الموجودة بنسخ العين، وجد بينها تطابقا (حَذْوكَ القُذَّةَ بالقُذَّة) ــ كما قال ــ مع أن هذا في حد ذاته ليس دليلا علميا ولا مقنعا، لأنه لا يفيد سوى حقيقة واحدة، وهي أن القالي كان أمينا في النقل، غير متزيد ولا منتقص. وتلك من الخصال العلمية الحميدة التي عرف الرجل بها واشتهر. وأقول هذا لأن كتاب البارع لم ينقل عن العين وحده، بل لم يكن اسم الخليل الا واحدا من الاسماء العديدة التي تتردد في كل صفحة من صفحاته. فهو ينقل عن كتاب الالفاظ لابن السكيت، وكتاب الخيل للاصمعي وكتاب الخيل لأبي عبيدة. وكتاب اللغات، وكتاب الغرائز لابي زيد، والجمهرة لابن دريد (وإن لم يصرح باسم الكتاب)، وعن كتاب مجهول الاسم لابي عبيدة (ص 121 ف)، وكتاب آخر قرأه على ابن دريد منسوخ من أصل السكري (ص : 13 ب). ولو وصل الينا الكتاب كاملا لوجدنا لائحة المصادر الطويلة جدا، مع العلم أن القالي لم يكن في البارع ينسب الأقوال

(45) شرح ديباجة القاموس للشيخ نصر الهوريني المطبوع مع القاموس المحيط ــ طبعة الحلبي الثانية ــ مصر ــ سنة 1952 ص 46.

والنصوص الى مصادرها الكتابية الا في القليل النادر، وإنما عادته أن يذكر أسماء المؤلفين والرواة مكتفيا بها عن تسمية مؤلفاتهم. فهو لا يقول : « قال في الجمهرة » ــ « قال في العين » ــ « قال في الالفاظ »... الخ ولكنه يقول : « قال ابو بكر » ــ « قال الخليل » ــ « قال يعقوب »... ولو أن الشخص الواحد من هؤلاء له أكثر من كتاب. وما هذا الا إمعان في اختصار مقدمة النص وإطاره الكثيف، وشبيه به ما صنعه في سلاسل الأسانيد التي حذفها نهائيا. قال أبو بكر الزبيدي ــ وهو الذي رأى الكتاب كاملا، واطلع على خصائصه عن قرب ــ : « وجمع فيه كتب اللغة، وعزا كل كلمة الى ناقلها من العلماء، واختصر الإسناد عنهم» (46)

ولكي نزداد يقينا بهذه الحقيقة، وهي أن الخليل لم يكن ــ مع كثرة المنقول عنه ــ الا مصدرا واحدا من بين عدد كبير من المصادر الأخرى، يكفي أن نفتح الكتاب على أية مادة يقع عليها بصرنا. ولنمثل لذلك بمادتين.

1 ــ ففي مادة (بلغ) (ص 274 ــ 275 من المطبوع)، يورد القالي مادته منقولة عن مصادره بالنحو والترتيب التاليين :

ــ قال أبو علي : قال أبو زيد....
ــ وقال الكلابيون......
ــ قال ابن الأعرابي...
ــ قال أبو بكر (ابن دريد)....
ــ قال أبو عبيدة ....
ــ قال الفراء....
ــ وعن الكسائي....
ــ وقال يعقوب ....
ــ وقال الخليل....

2 ــ ثم لنعد فتح الكتاب على مادة جديدة، ولتكن هي مادة (غمز) (ص 365 ــ 366 من المطبوع). ففيها ترد النقول بالترتيب الآتي :

---

(46) الطبقات ص 186.

ــ أبو زيد ...
ــ وقال يعقوب في كتاب الالفاظ.....
ــ وقال أبو زيد...
ــ قال يعقوب ....
ــ وقال أبو عبيد عن أبي زيد.....
ــ وقال الخليل.....

فلقد كان إذن على الاستاذ الطعان أن يقول : إن كتاب البارع هو مجموع كتب هؤلاء وغيرهم على نحو ما قال الزبيدي، وليس هو كتاب العين وحده. على أن الرأي الذي لا مراء فيه، وهو ما يصدقه ما بين أيدينا من الكتاب، ويشهد له ما قرأناه من شهادات القدماء، هو أن نقول إن أبا علي القالي :

ــ أخذ المواد اللغوية التي احتوى عليها كتاب العين.

ــ أخذ ما جاءت به المعاجم الأخرى وسائر المدونات اللغوية التي جمعت بعد الخليل أو كان الخليل قد أهملها. وقد لاحظ القدماء أن ما جمعه القالي من ذلك بلغ 5683 مادة، وهو ليس بالقدر الهين.

ــ أضاف الشواهد الى ما لا شاهد له، وصحح النصوص ووثقها، وحذف الأسانيد.

ــ ضبط المواد بالنص والعبارة دون الاكتفاء بالشكل والحركات.

ــ أعاد النظر في الترتيب الصوتي للحروف، مخالفا بذلك الخليل وسيبويه معا.

ــ أعاد النظر في توزيع المواد على الابنية، وأضاف أبواب «الأوشاب» ووضع ملحقا خاصا (بالمُعَرَّب من كلام الفرس)، وغير اسم (اللفيف) ملحقا إياه بالثلاثي المعتل، كما غير اسم الثنائي المضاعف ..

ذلك هو مجمل ما صنعه القالي في الكتاب ــ وقد رأيناه مفصلا فيما سبق ــ ولو أننا تتبعنا المعاجم العربية حسب تاريخ صدورها، الواحد تلو الآخر، ولا سيما إذا كانت من مدرسة واحدة، لما وجدنا في اللاحق منها شيئا جديدا ليس في السابق، سوى أن يكون زيادة مواد، أو زيادة تهذيب وتنقيح وضبط أو

إعادة نظر في ترتيب كلي أو جزئي، أو توسع واستقصاء، أو ايجاز واختصار، والا فما هو معجم القاموس المحيط بالنسبة للمعاجم السابقة له مثل (المحكم) و (العباب) و (الصحاح) التي قال عنها في مقدمته : « **وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم**، وأضفت إليه زيادات مَنَّ الله تعالى بها وأنعم، ورزقنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة الدُّأْمَاء الغَطَمْطَم. وأسميته القاموس المحيط لانه البحر الأعظم. ولما رأيت اقبال الناس على **صحاح الجوهري** — وهو جدير بذلك، غير أنه فاته نصف اللغة وأكثر، إما بإهمال المادة أو بترك المعاني الغريبة النادَّة — أردت أن يظهر للناظر بادىء ذي بدء فضل كتابي هذا عليه، فكتبت بالحُمرة المادة المهملة لديه، وفي سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه إليه. ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر، بل إذاعة لقول الشاعر : كم ترك الأول للاخر » ؟ وما هو (لسان العرب) بالنسبة للمعاجم التي نقل عنها وضمنها كتابه، إن لم يكن هو شيء أو أشياء مما ذكرنا ؟ إن كل معجم لاحق من المعاجم العربية — ولا سيما تلك التي لم يشافه أصحابها الأعراب — كان يأتي وهو يتلع في أحشائه معجما أو معاجم سابقة مضافا اليها أمر من الامور. ومع ذلك لم يقل أحد إن المتأخر منها هو عين المتقدم، لأن مثل هذا الأمر يبدو طبيعيا في ميدان المعاجم.

1 — 2 — دراسات حول العين والبارع

كان البارع إذن، هو شارع باب التأليف المعجمي بالاندلس على مصراعيه. ولما كان لهذا المعجم صلة وثيقة بكتاب العين، فقد قامت حولهما معا حركة خاصة من الدراسات، نهض بها تلاميذ القالي، وامتد صداها وتأثيرها الى غيرهم. وكانت هذه الحركة تنصب تارة على العين وحده، وأخرى على البارع وحده، وفي أحيان ثالثة تربط بينهما وتقارن. ونحن نلخص هذه الحركة فيما يلي :

1 — 2 — 1 — ما دار حول البارع

ما إن انتهى القالي من تأليف البارع حتى بادر الناس لروايته عنه، وذلك قبل إخراجه من المسودات. فقد احتفظ لنا ابن خير في فهرسته بسندين لروايته : ينتهي أولهما الى أبي القاسم أحمد بن أبان بن سيد اللخمي والثاني الى أبي بكر الزبيدي (ص 354). وكلاهما من تلاميذ المؤلف المشهورين.

ولقد كان ما قام به الفهري والجياني من تحرير صكوك الكتاب ورقاعه، وما تم تحت إشراف الخليفة المستنصر من مقابلته بكتاب العين والتعرف على زياداته، ثم ما صنعه الزبيدي من إضافات وتنقيحات على الوجه الذي مر، كله يمثل أول نشاط علمي يقوم بالاندلس حول معجم البارع. وتمر فترة بعد ذلك، ويأتي المنصور بن أبي عامر الحاكم الذي أراد أن يعفي على آثار الأمويين السياسية والثقافية، بمحو أعمالهم ومنجزاتهم أحيانا أخرى، فيعقد مجالس للعلم بقصره، يحضرها العلماء. ومن هذه المجالس ما كان مخصصا لقراءة الكتاب البارع حسب ما يذكر صاعد البغدادي المتوفى سنة 410 هـ. وقد كان صاعد هذا أول من يتصدى لنقد الكتاب في تلك المجالس، ولكنه مع الأسف لم يحتفظ لنا في (فصوصه) الا بنص واحد يحكي فيه نموذجا من نقوده واعتراضاته. قال :

« كان مولانا المنصور بن أبي عامر أطال الله بقاءه، أمر بقراءة البارع، وهو كتاب لابي علي القالي رحمه الله، صنفه بالاندلس، ونَفَض كتب المستنصر رحمه الله عليه، واستقصَى. واحتذى فيه [بكتاب] المفضل بن سلمة [47] صاحب الفراء ـــ وهو كتاب بليغ، يقع بخط مجموع في نحو من ثلاثة آلاف ورقة وسمَّاه البارع، يرد فيه على كثير مما أورد صاحب العين ويخطئه فيه. ولابن دريد كتاب في الرد عليه كبير، يعرف بكتاب الانتصار لصاحب كتاب العين ـــ فنقله أبو علي، وضم اليه من خزانة المستنصر رحمه الله زوائد كثيرة. فكان يُقرأ على المنصور بحضوري. فكنت أذكر ما أَخَلَّ به ولم يقع عليه. فكان يقع ما أُورد مرة في حال الاستحسان، وتارة في حيز الارتياب، وأخرى في حيز الرد، إذ لم يصحبني من كتبي التي درستُ فيها شيء، وكان معولي على حفظي. فقرىء عليه حرف الحاء، والميم، فاستمعت الى آخر الباب فقلت : قد أَخلَّ على طلبه الاستقصاء بكلمتين : قال المنصور أيده الله : وما هما ؟ قلت... » [48].

---

(47) في الاصل : (وهو كتاب احتذى فيه بالمفضل بن سلمة) ولعله من قبيل التصحيفات الكثيرة التي حشيت بها النسختان الخطيتان، اذ في العبارة ـــ على نحو ما هي عليه في الأصل ـــ ارتباك وخلط. والمفضل بن سلمة هو أبو الخطاب المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى بعد سنة 290 هـ. ترجمته في الفهرست لابن النديم ص 109 ومراتب النحويين ص 154 والوعاة ص 396 ونور القبس لليغموري 339 وبروكلمان 2 /209 (الترجمة العربية). وكتاب المفضل الذي يشير اليه صاعد هو (البارع في اللغة) أو (البارع في علم اللغة).

(48) كتاب الفصوص لصاعد البغدادي 2 /274 مخطوط الرباط. والنص مقابل بنسخة القرويين.

ثم ذكر الكلمتين اللتين أستدركهما على البارع، أولا هما (الحميم) بمعنى البارد، وثانيتهما (الحمام) بمعنى المرآة. وأتى على ذلك بشواهد. وذكر المناقشات التي جرت على إثر كلامه. اذ اعترض عليه أحد الحاضرين، ورفض سماع حجته، قال صاعد : « فوقع كلامي موقع الريبة، الى أن ظفرت بكتاب تضمن هذه الرواية وهذا المعنى وأريته الموضع. وهو كتاب (مجالس ثعلب) عن ابن الأعرابي فأذعن له ».

وهذا يدل على مكانة بارع القالي في نفوس العلماء الاندلسيين الذين لم يكونوا مستعدين لتقبل ما يأتي به صاعد وأمثاله من انتقادات توجه إليه الا ما ثبت بالحجة والدليل.

والنص بعد ذلك يتضمن رأيا غريبا في البارع لم يسبق اليه ولم يتبعه فيه أحد من القدماء، فقد ذكر أن القالي احتذى فيه كتاب المفضل بن سلمة النحوى الكوفي المسمى (بالبارع في اللغة) بل نقله الى كتابه وزاد عليه من خزانة الحكم المستنصر، وهو رأي لا يمكن أن نتقبله منه بسهولة، وذلك للأسباب التالية :

1 ـــ لأن بارع القالي كما رأينا خلال الدراسة السابقة لم يؤلف للرد على الخليل أو تخطئته ولم يكن مؤلفه من القادحين في نسبة العين لصاحبه، بل هو على العكس من ذلك يملأ الصفحات نقلا عنه دون شك ولا اعتراض، في حين كان القصد من كتاب المفضل بن سلمة كما يقول صاعد، هو تخطئة الخليل واتهامه، وهذا يعني أن القالي لم يحتذ حذو ابن سلمة.

2 ـــ لم يرد فيما تبقى من كتاب القالي ذكر للمفضل بن سلمة الا مرة واحدة، إذ حكى عنه عبارة قصيرة هي بالنص : « وكان المفضل بن سلمة يقول : الجُزور بالضم، حتى نُهي عن ذلك ». (ص 655 من المطبوع) وهذه العبارة لا تفيد النقل عن كتابه الذي لم يرد ذكره ولو مرة واحدة. وهذا يعني ان القالي لم ينقل تصنيف ابن سلمة الى معجمه كما زعم صاعد، ولو كان حصل ذلك لرأينا القالي المعروف بأمانته العلمية وعَزْوه كل قول لصاحبه، ينص على كل كلمة نقلها منه كما فعل بالنسبة للخليل وعشرات من أمثاله.

3 ـــ أن كتاب البارع لابن سلمة لم يَكْمُل تأليفه وذلك ما ينص عليه ابن النديم حين يقول : « والذي خرج منه الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء » أي مقدار ستة أحرف لا غير. (الفهرست : 109).

4 ـــ أن صاعد قد انفرد بهذا القول دون بقية العلماء الموثقين، ممن قرأ الكتاب وفحصه ودرسه ونقده، وعلى رأسهم الزبيدي وغيره من الذين رووا أخباره وذكروا خصائصه، واستدركوا عليه.

5 ـــ أن النص ورد في إطار القصص الكثيرة التي يمتلىء بها كتاب الفصوص، ويكون موضوعها الاعجاب بنفس المؤلف وإظهار تفوقه الكاذب على العلماء، وما أشبه ذلك من الخوارق والادعاءات التي أنكرها عليه كل علماء الأندلس. فهو عندهم ـــ أي صاعد ـــ متهم في علمه وأخباره : « يتكلم بملء فيه، ولا يوثق على ما يذره وما يأتيه » كما يقول بحق ابن بسام، ونقله عنه المقري [49]. فالنص السابق عبارة عن قصة يرويها الرجل عن مجلس من مجالس المنصور العامري، حضره واتهم فيه القالي بالتقصير في موضعين ذكرهما، وأنكرهما عليه أحد الحاضرين، فلم يستطع إقناعه وإسكاته الا بعد أن أتى بكتاب (مجالس ثعلب)، فظفر بالحجة، وانتهت القصة بانتصاره. وهي قصة غير عادية ولا سيما إذا قورنت بمثيلاتها من القصص الواردة بالفصوص. وشبيه بهذه القصة، قصة أخرى جرت بمحضر المنصور أيضا، ناقشه خلالها الزبيدى في مسائل، وسأله أن يأتي بالأسماء التي يعرفها للقيِّم على المال، فأتى صاعد بثمانية عشر اسما، فاستلب إعجاب الحاضرين، وقام الزبيدي مبهوتا الى المنصور، واعترف أمامه بتفوق صاعد على القالي الذي لم يذكر من تلك الأسماء في (أماليه) الا نحو السبعة أو الثمانية [50]. فاذا بصاعد يتيه عجبا ويقول :

« وما أَعْجَبَكَ مما رأيتَ، وأنا أشرحُ (الغريب المصنف) في أربعة أمثاله، فأُعفي مُلْتَمِسَ هذا العلم أن ينظر بعدَهُ في شيء من كتب اللغة ؟» فأجاب

---

(49) الذخيرة ص 2 المجلد 1 السفر الرابع ـــ والنفح 4 /94

(50) في الحقيقة لم يذكر القالي في أماليه (2 /322) سبعة أو ثمانية أسماء للقيم على المال، ولكنه ذكر أحد عشر اسما، حسب ما هو في النسخ المطبوعة.

الزبيدي متحديا أو متعجبا : «اذا فعلتَ هذا، فأنا أولَ غادٍ ورائحٌ عنك.» [51]
ويكفي للطعن في هذه القصة الاخيرة، أنها واردة بصيغة ونتائج معاكسة في نفح الطيب (4 ص 74). فهي هناك تنتهي بهزيمة صاعد وتسفيه العلماء له، ومنهم الزبيدي نفسه، والعاصمي، وابن العريف.

وهناك مثال آخر، وهو القصة التي يرويها عن مجلس في حضرة أبي شجاع (فنا خسروه) بالموصل، فقد سأل هذا صاعدا أن يعدد له الأسماء التي يعرفها للمِهْذار، فذكر له ستة، ولما ناقشه رجل يسمى (قرموطة) كان حاضرا بالمجلس، في الاسم السابع، انتصر عليه صاعد أيضا، وظفر منه بالاعجاب [52]

إنها أمثلة مع غيرها ــ وهي كثيرة ــ تحكي العجائب عن (بطولة) صاعد وانتصاراته العلمية. ومنها ما كان فيه الحَطُّ من قيمة أبي علي القالي والإزراء بسمعته وعلمه، قصدا واضحا، فلا احتجاج به إذن. ومن هذا القبيل تلك القصة الأولى التي نحن بصدد نقدها.

6 ــ أن صاعدا شخصية استعملها المنصور بن أبي عامر المستبد بالحكم في وجه الأمويين بالأندلس، لمحاولة طمس آثار أبي علي القالي، باعتباره كان واحدا من صنائع بني أمية. ذلك ما ينص عليه ابن بسام إذ يقول عند ذكر صاعد : « فأراد المنصور أن يُعَفِّي به آثار أبي علي البغدادي الوافد على بني أمية قبله، وهَزَّهُ لذلك، فألفى سيفه كَهاماً. وسحابه جَهاما » [53]. بل إن كتاب الفصوص في جملته لم يوضع إلا لهذا القصد. فالمقَّري يحكي لنا أن المنصور أخرج كتاب النوادر لأبي علي وأراه صاعدا، فلما رآه قال للمنصور : « إن أراد المنصور أمليتُ على كُتَّاب دولته كتابا أرفعَ منه وأجلَّ، لا أُورد فيه خَبَرا مما أَوْرده أبو علي. فأذن المنصور له في ذلك .... » [54]. غير أن علماء الحضرة من معاصريه والمتأخرين عنه، تتبعوا الكتاب بعد أن تم تأليفه « فلم ترد فيه كلمة صحيحة عندهم، ولا خبر يثبت لديهم »، كما يقول المقري. فرجل استعمل لهذه الغاية،

(51) الفصوص 1 ص 78 مخطوط الرباط
(52) نفسه 1 ص 226
(53) الذخيرة لابن بسام ــ الجلد 1 ــ السفر 4 ص 2
(54) النفح 4 ص 74

وأنيط به هذا الدور، خليق بأن يضع على القالي الأقاويل، ويكون منه موضع الحسود.

تلك ناحية من اهتمام الاندلسيين بكتاب البارع، وتتجلى لنا الناحية الثانية في ظهور كتابين، نوجز الكلام عنهما فيما يلي :

جوامع كتاب البارع

أما الأول، فهو (جوامع كتاب البارع) المنسوب لتلميذ القالي الآنف الذكر : أبي بكر محمد بن الحسين الفهري [55]. نسبهُ إليه المراكشي في الذيل، وقال إنه وقف عليه ونقل منه في ترجمته لمؤلفه. وهذا نص عبارته.

« ذكر ذلك محمد بن الحسين الفهري المذكور في كتابه الذي سماه (جوامع كتاب البارع) وقفت على ذلك في الكتاب المذكور بخط كاتبه للحكم.... » [56]. ويقول مرة أخرى :

« وقد قرأت بخط أبي علي الغساني على ظهر كتابي من (الاصلاح) بخط الغساني أيضا ما نصه : « ذكر أبو عبد الله محمد بن الحسين الفهري وراق أبي علي البغدادي في مقدمة كتاب البارع من تأليفه : قال لنا أبو على إسماعيل بن القاسم غير مرة : قال لنا أبو بكر بن دريد وابن الانبارى »....» [57].

فان صح كل ما قاله المراكشي، فسيكون معناه أن الفهري وضع أولا كتابا خاصا سماه : (جوامع كتاب البارع)، ولا نعرف ما فحواه، سوى أن يكون تكملة أو حواشي على كتاب القالي، ثم وضع للبارع ثانيا ــ بعد أن نقحه وهذبه مع زميله الجياني ــ مقدمة نقل منها الغساني ما رواه القالي عن شيخيه : ابن دريد، وابن الانباري. ولم يصل إلينا على كل حال شيء من هذا أو ذاك. هذا اذا لم تكن العبارة الواردة في نص المراكشي وهي قوله « في مقدمة البارع من تأليفه »

---

(55) انظر ترجمة الفهري في : جذوة الحميدي ص 374 ــ بغية الملتمس ص 71 (طبعة دار الكاتب العربي 1967) ــ الوعاة 294 ــ التكملة 1 ص 371 (ط. العطار الحسيني) ــ الذيل والتكملة 6 ص 175 ــ انباه الرواة 3 ص 71. وفي الجذوة وبغية الملتمس أن اسمه : محمد بن أبي الحسين، وعند القفطي أنه (محمد بن أبي الحسن).

(56) الذيل والتكملة 6 ص 175

(57) نفسه. ويكنى الفهري المتحدث عنه بأبي عبد الله أيضا.

مصحفة، وأن أصلها هو : « في مقدمة جوامع البارع من تأليفه »، فلا يكون للفهري بناء عليه الا عمل واحد.

استدراك على كتاب البارع

وأما ثانيهما فهو الكتاب المنسوب الى رجل من القرن الخامس، ومن الطبقة الثالثة في الرواة عن القالي، وهو الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج المتوفى سنة 489 هـ الذي توج نشاطه اللغوي بمؤلفات عديدة كان على رأسها (استدراك على كتاب البارع) (58). قال ابن بسام : « وأحيا كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة التي أحالها الرواة الذين لم تكمل لهم الاداة، ولا استُجمعت لديهم تلك المعارف والآلات، واستدرك فيها أشياء من سَقط واضعيها، ووهم مؤلفيها، ككتاب البارع لابي علي القالي البغدادي » (59). فإذا لم يكن ما صنعه ابن سراج كتابا مستقلا ـــ لأن النص لا يحدد ذلك ـــ فهو على الاقل كان في شكل حاشية من الحواشي وتعليقا من التعليقات التي قد تظل مكتوبة على طرر الأصل وهوامشه.

☆ ☆ ☆

هذا كل ما استطعنا معرفته من تلك الحركة التي خص بها كتاب البارع، وسنعرض بعد قليل لما قام به الزبيدي في مستدركه الذي قارن فيه بين العين وكتاب القالي. على أنه يجب ألا نغفل طائفة من النقول والاقتباسات التي جعلت من البارع مصدرها إذ من شأنها أن تعرفنا على جانب آخر من صدى هذا الكتاب وتأثيره في بيئة الثقافة الاندلسية. فقد استفاد منه ونقل عنه عدد كبير من رجالات الاندلس، نذكر منهم على سبيل المثال :

ـــ أبا بكر الزبيدي في سائر مؤلفاته.

ـــ وأبا عبيد البكرى (ت 487 هـ) في مؤلفاته اللغوية التي منها : كتاب اللآلي في شرح الأمالي، وكتاب فصل المقال، ومعجم ما استعجم. ومعروف أن البكري كان في الطبقة الثالثة من الرواة عن القالي، واهتم كثيرا بمؤلفاته، خاصة

---

(58) انظر ترجمة ابن سراج في : الوعاة 312 ص ـــ الصلة 1 ص 346 (ط. الحسيني) ـــ الديباج ص 157 ـــ المغرب 1 ص 155

(59) الذخيرة لابن بسام القسم الأول. المجلد 2 ص 307

كتاب الأمالي الذي شرحه ونبه عليه.

ـــ أبا جعفر أحمد بن داود بن يوسف الجذامي (ت 598 هـ)، في شرحه لمقامات الحريري (مخطوط الرباط).

ـــ أبا محمد عبد الله البطليوسي (ت 521 هـ)، في كتاب الاقتضاب، وكتاب المثلثات. على أن أهم النقول الموجودة على البارع فيما وقفت عليه لحد الآن، هي تلك المكتوبة بحواشي نسخة القرويين من (مختصر العين)، وهي حواش يظن [60] أنها من عمل البطليوسي المذكور ـــ كما سبقت الاشارة الى ذلك ـــ وأهمية هذه النقول تأتي من كونها تحتفظ بقدر هام مما ضاع من البارع. وقد هالتني كثرتها ـــ وقد بلغت حوالي أحد عشر نقلا في بعض الصفحات ـــ حتى هممت بجمعها.

ـــ ومن الناقلين عن البارع من الاندلسيين، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيدة المرسي، وذلك في معجميه الكبيرين : المخصص، والمحكم. أما الأول فقد صرح فيه بالنقل عند ذكر مصادره بالمقدمة، وأما الثاني، فقد نقل فيه عن البارع وإن لم يصرح بذالك. ومنهم أيضا ابن هشام اللخمي السبتي (ت 577 هـ) في كتابه (المدخل الى تقويم اللسان). وغير هؤلاء كثير.

1 ـــ 2 ـــ 2 ـــ ما دار حول العين

رأينا في الصفحات الأولى من هذا البحث، عناية الاندلسيين برواية كتاب العين، واهتمامهم بنسخه وقراءته ومقابلته، ولكن أبرز الشخصيات الاندلسية التي اهتمت به بعد القالي، هي شخصية أبي بكر الزبيدي الذي اختصره واستدرك عليه، وجادل الناس في شأنه. أما غيره ممن جاء بعده، فقد قصر اهتمامه بالعين على النقل عنه والاقتباس منه، أو محاكاته في التأليف كما سنرى.

---

(60) هذا الظن هو للاستاذين محمد العابد الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي رحمهما الله. جاء في ورقة ملحقة بأول مخطوط القرويين رقم 363 ما نصه : «ويغلب على الظن أن أكثرها منقول عن أصل أبي محمد البطليوسي» مما كتبه الأول بخطه. وموجود بخط الثاني في ورقة أخرى ملحقة بالمخطوط ما نصه أيضا، «أما الحواشي، فبعضها من كلام الزبيدي في نسخته الكبرى نقلها البطليوسي وبعضها من عمل ابن السيد البطليوسي نفسه».

مختصر العين

كان هذا المختصر هو ثاني معجم ظهر بالاندلس بعد البارع. وقد ألفه صاحبه تلبية لطلب الحكم المستنصر، فأتمه سنة 362 هـ كما هو مبين بآخر نسخة القرويين منه. ونعلم من التعليقات الموجودة على هوامش هذه النسخة [61] ومن مقدمة كتاب (الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح) لعبد الرحمان التادلي، أن الزبيدي كان قد أخرجه في نسختين : كبرى، وصغرى. وضع الأولى للخليفة، والثانية للعامة. الا أن رغبة الحكم لم تكن هي الدافع الوحيد للقيام بهذا العمل، بل كان ما رآه في العين من الاضطراب والخلل هو الحافز الأول، ولا سيما أن له في الكتاب ذلك الرأي المشهور. فقد أحب أن يصلح فيه ما ألفاه مختلا، ويوقع كل شيء من هذا المختل في بابه، ويضعه في مواضعه الواجب أن يوضع بها، ويلخص لفظه، ويحذف حشوه وفضوله وتكراره، وكثيرا من شواهده، وينظم أبوابه ومواده، ويرتب أبنيته التي أصبحت تجرى في المختصر على النحو التالي : الثنائي المضاعف الصحيح ـــ الثلاثي الصحيح ـــ الثنائي المضاعف المعتل ـــ الثلاثي المعتل ـــ الثلاثي اللفيف ـــ الرباعي ـــ الخماسي.

ورغم أن الكتاب لم يكن في الحقيقة تأليفاً بالمعنى الصحيح ـــ فهو اختصار وليس ابتكارا ـــ الا أن التغييرات التي أدخلها على (العين) منهجا وموضوعا، كانت كافية لتجعله قريبا من التأليف المبتكر، فأكسب صاحبه الشهرة وذيوع الصيت بالاندلس وخارجها. قال ياقوت : « وبلغني أن أهل المغرب يتنافسون في كتبه، خصوصا كتابه الذي اختصره من كتاب العين، لأنه أتمه باختصاره، وأوضح مشكله وزاد فيه ما عساه كان مفتقرا إليه » [62]. وقد نوه به ابن خلدون [63] وابن حزم [64] واعتمده عبد الرحمان التادلي في (كتاب الوشاح) كمصدر للرد على صاحب القاموس.

---

(61) انظر الهامش السابق

(62) معجم الادباء 18 ص 181

(63) المقدمة 4 ص 1260 (تحقيق الدكتور عبد الواحد وافي)

(64) نظرات في اللغة عند ابن حزم، لسعيد الافغاني ص 48 ـــ 49

وما إن أتم الزبيدي تأليف كتابه هذا، حتى استدعاه الخليفة الحكم إليه، واستقبله بصلة سنية وخلعة فاخرة، جزاء ما تولاه من اختصار وتهذيب، وأوصله الى نفسه، وناظره بمجلسه وبين يديه في ذلك الوزير الكاتب أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي، كما يقول ابن حيان (65) ورواد الأندلسيون بعد ذلك، ونقلوا منه، وكان أهم من تأثر بخطته هو أبو الحسن ابن سيدة الذي اقتبس منه منهجه في تنظيم كتاب المحكم. وقد تحدث عن هذا الكتاب المختصر عدد من الباحثين المعاصرين، فأغنانا ذلك عن الوقوف عنده طويلا (66). الا أنه لا بد من الاشارة في هذا الموضع من البحث الى أن أحد مترجمي الزبيدي وهو القفطي في أخبار المحمدين من الشعراء قد ذكر له كتابا لم يذكره غيره وسماه : (**الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين**) وهو على كل حال كتاب لم يصل إلينا لنعرف محتواه.

كتاب استدراك الغلط الواقع في كتاب العين

وهو رسالة الزبيدي التي أكثرنا من الاشارة اليها في هذا البحث. وتوجد منها ثلاث قطع صغيرة لم يكن معروفا منها سوى قطعة واحدة. هي تلك التي احتفظ بها السيوطي في كتابه « المزهر » اذ نقل بالجزء الأول (ص 79 وما بعدها) اغلب ما ورد بمقدمتها، ونقل بالجزء الثاني (ص 381 وما بعدها) أبوابا من غير المقدمة. ولكن السيوطي كعادته قد تصرف في هذه النقول بالاختصار والانتقاء من النص الطويل أو المواد الكثيرة ما يقتضيه غرضه، وتتطلبه حاجته، حتى إن الأمر ليصل الى حد التشويه أحيانا.

أما القطعة الثانية ــ وهي أكبر القطع وأهمها ــ فتقع في 34 صفحة وردت موزعة في ثنايا المخطوط الوحيد الموجود من كتاب (المستدرك في اللغة). وهو نسخة القرويين رقم 64.

والقطعة الثالثة توجد أيضا بالقرويين تحت رقم 118 ضمن مخطوط يضم

---

(65) المقتبس (قطعة الحجي) 173 ــ 174.

(66) طبع من مختصر العين، قسم صغير من حرف العين سنة 1963 بالدار البيضاء بتحقيق الاستاذين محمد بن تاويت وعلال الفاسي. وقد حدثني الزميل الدكتور صلاح الفرطوسي الأستاذ بكلية الآداب في فاس أنه يشتغل بتحقيق الكتاب كاملا.

27 صفحة، ولكن ما يتعلق بكتابنا هذا لا يزيد عن خمسة عشر صفحة.

وقد كنت فصلت القول في كتاب (الاستدراك ..) والقطع الموجودة منه، ونشرت مقدمته في بحث خاص [67] ثم رأيت الآن أن أعيد نشر ذلك ملحقا بهذه الدراسة، ولذلك أكتفي بالقول هنا : إن كتاب (استدراك الغلط..) ألف جوابا على طلب أحد الأصدقاء، للرد على خصوم الزبيدي في رأيه حول كتاب العين. فبعد أن يورد بالمقدمة سائر الأدلة العقلية والمنطقية التي استند اليها في ذلك الرأي، يقدم حججه النصية، بان يستخرج من العين كل المواد التي وقع فيها الخطأ، ويرتبها ترتيبا معجميا على طريقة الخليل نفسها، ثم يذكر الى جانب كل مادة ما يراه صوابا، وينبه على ما وجده عكس ذلك.

هذا وقد نسب للزبيدي في إنباه الرواة (3 ص 109) كتاب بعنوان : (**رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين**)، غير أنه من المستبعد نسبته اليه لسببين على الأقل : أولهما انفراد القفطي بذكره حسب علمي. وثانيهما مناقضة عنوان الكتاب لرأي الزبيدي المشهور حول العين. وقد وهم الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم في تعليقه على ما ذكره القفطي فظن أن (رسالة الانتصار) هذه هي جزء من (مختصر العين)، ثم عاد فخلط بينه وبين كتاب (استدراك الغلط ..) الذي نقل منه السيوطي. وأخيرا فإنه ربما كان هذا الكتاب والكتاب الذي ذكر قبل حين بعنوان : (الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين) شيئا واحدا.

1 ــ 2 ــ 3 ــ مادار حول العين والبارع معا

المستدرك في اللغة للزبيدي

تتجلى هذه الحركة بالخصوص في الكتاب الذي وضعه الزبيدي أيضا. وهو المسمى : (كتاب المستدرك من الزيادة في كتاب البارع على كتاب العين) كما نص على ذلك ابن خير الاشبيلي الذي رواه في سند يتصل بمؤلفه (ص : 350). والاسم المختصر لهذا التأليف هو : (المستدرك في اللغة). وتوجد منه :

---

(67) انظر مجلة (المناهل) المغربية عدد 8 سنة 1977

1 ـــ نسخة خطية كبيرة في 203 صفحة : (رقم 64 قرويين) ولكنها مع ذلك ناقصة ومبتورة في مواضع كثيرة. ومستعصية على القراءة. وقد وقع خلط كبير في ترتيب أوراقها، كما دُسَّت في ثناياها 34 صفحة من كتاب آخر هو (استدراك الغلط) للمؤلف نفسه، وذلك في مواضع مختلفة (انظر الملحق الخاص باستدراك الغلط في نهاية هذا البحث).

2 ـــ قطعة في 6 ورقات (من 9 ـــ الى ـــ 14) أخذت من النسخة السابقة وضمت الى مخطوط آخر صغير (رقم : 118 قرويين) يحتوي بالاضافة الى ذلك على 8 ورقات من الكتاب الاخر للزبيدي وهو (استدراك الغلط) ولذلك فإن القطعتين معا بعضهما يكمل الآخر. وهما في الأصل نسخة واحدة.

ولكن الموجود من هذا الكتاب يدعونا لتسجيل الملحوظات التالية، ذلك أنه ورد في مقدمته القصيرة ما نصه :

« **المستدرك في اللغة** : ـــ أمر بجمعه وتأليفه الحكم المستنصر أمير المؤمنين (...) [68] عبده محمد بن حسن الزبيدي رحمه الله، فاستخرجه من كتاب أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي الموسوم بالبارع. وضمن هذا الكتاب الزيادة التي في كتابه مما لم يقع في كتاب العين خاصة. ووعد أبو بكر الزبيدي في صدر هذا الكتاب أن يحسن الاختصار. فلم يف بما وعد. بل كرر وطول حتى صار هذا الكتاب أكبر من كتاب الخليل. فدعت الضرورة الى إعادة اختصاره ثانية وتجريد ألفاظه الزائدة (....) [68] الكتاب. وليوقف على ما أغفله الخليل بغاية الايجاز وليخف نسخه وحمله على الباحث عنه إن شاء الله ».

فمن هذه المقدمة نستخلص أولا أن الكتاب الذي بين أيدينا هو عبارة عن استدراك على (العين) من الزيادة الموجودة في بارع القالي، وليس استدراكا على مختصر الزبيدي كما يفهم من عنوان الغلاف الذي نصه : (كتاب المستدرك في اللغة على مختصر العين وما لم يقع في كتابه استدرك هنا واستخرج من كتاب البارع ومن كتاب العين.) ومما يؤيد ذلك أيضا مضمون الكتاب إذ هو مختلف تماما عن مضمون المختصر. ونستخلص ثانيا أن شخصا مجهولا قد عمد الى كتاب

---

(68) الكلمة مخرومة.

(المستدرك) بعد أن أتمه مؤلفه فشذب طوله. وحذف مكرره، واختصره، ولكنه لم يضف الى ما صنعه المؤلف شيئا ولم يظهر فيه أي أثر لشخصيته. فنحن إذن أمام اختصار ولسنا أمام كتاب أصلي، أو قل نحن أمام النسخة الصغرى لا الكبرى.

ومهما يكن فنحن نستطيع مما بين أيدينا أن نكوّن فكرة عما صنعه الزبيدي في كتابه هذا الذي قال فيه (ص 35 باب الرباعي من حرف العين) إنه التزم « الزيادة التي استدركها اسماعيل من مستعمل كلام العرب » على كتاب العين. فقد كان ذلك هو الغرض الأصلي من وضعه، ولذلك رتب المواد اللغوية على طريقة الخليل حتى يسهل على الزبيدي نقده وتتبع أخطائه. الا أننا نجد فيه مع هذا ما يزيد قدره قيمة، بما تضمنه من ملحوظات وانتقادات، كانت مرة تصيب الخليل وحده ــ وهي الغالبة ــ ومرة تصيب القالي وحده، وثالثة تنصب عليهما معا. وقد بين في تلك الملحوظات والانتقادات أغلاطهما وأوهامهما في الكتابين : العين، والبارع. ويمكن إجمال أنواع أخطائهما التي نبه عليها الزبيدي في النقط التالية :

1 ــ أخطاء الاهمال، وأكثرها منسوب للخليل، وهي أن يهمل في كتابه ذكر باب أو مادة موجودة في كلام العرب وهي مستعملة عند القالي في البارع. أمثل لذلك بقوله في مادة (فكع ــ ص 14 من حرف العين الثلاثي الصحيح) :

« قال محمد : أهمل هذا الخليل، وذكره اسماعيل، فقال : فكع مثل عنك ».

وبالرجوع الى كتاب العين، سنجد أن الخليل حقا لم يذكر من تقاليب مادة العين والكاف والفاء، سوى (عكف ــ وعفك) (ص 284 ج 1 من المطبوع). وقد أهمل (فكع) وغيرها مما أتى به القالي. ومثل ذلك يلحظ مرة أخرى على القالي نفسه. قال الزبيدي في مادة العين والجيم والدال من الثلاثي الصحيح من حرف العين.

« قال محمد : لم يذكر أبو علي (عجد) ولا جاء به مستعملا، وذكره الخليل مستعملا ». ولقد صدق الزبيدي أيضا، إذ جاء في (العين) المطبوع ما نصه : « العجد : الزبيب، وهو حب العنب أيضا، وقيل بل هو ثمرة غير

الزبيب »(1 ص 249).

2 ـــ أخطاء في الترتيب والتنظيم.

3 ـــ أخطاء التصحيف.

ومما عابه الزبيدي علي شيخه أبي علي خاصة :

1 ـــ اقتصاره أحيانا على ما ذكر الخليل دون زيادة، وذلك أن الزبيدي كان همه ـــ على ما يبدو ـــ هو إحصاء الزيادات التي أتى بها إسماعيل وأغفلها الخليل، فاذا رأى أن القالي اقتصر في مادة من المواد على ما قاله صاحب العين نبه على ذلك.

2 ـــ اتباع الخليل في بعض أخطائه أحيانا.

3 ـــ ذكره لمواد منسوبة للخليل وهي غير موجودة بالعين.

4 ـــ التكرار.

5 ـــ استعماله لكلمات مولدة. قال في مادة (العين والشين والذال المعجمة ص 18) :

« شعذ ـــ : قال محمد : ذكر اسماعيل في هذا الباب كلمة اخترعها المولدون، وليست تصح عن العرب ».

1 ـــ 3 ـــ معاجم على طريقة العين

هناك معاجم أندلسية ألفت على طريقة العين ، بعضها يعتبر من المعاجم الشاملة ككتاب المحكم لابن سيدة وما وضع حوله من تلخيصات، وكتاب المبرز في اللغة للحجاري الذي لم يصل إلينا شيء منه ، وبعضها يعتبر من المعاجم الخاصة ببعض الصيغ والابنية ككتاب المقصور والممدود للقالي ، وكتاب الافعال لابن القوطية ، وكتاب الافعال للسرقسطي . أما كتاب الموعب لابن التَّيَّاني الذي كنا نعتقد أنه ألف حسب منهاج الخليل ، فقد تَبَيَّن بعد وقوفنا على المقتطفات التي نشرت منه ، أنه من المعاجم التي اتبعت طريقة مخالفة، ولذلك سنتحدث عنه في موضع آخر . ولن نتحدث في هذا الموضع أيضا عن المعاجم التي ذكرنا

أنها خاصة بالأبنية ، فلها مكانها من هذا البحث، ولكننا سنكتفي بالكلام الموجز عن كتاب ابن سيدة وتلخيصاته، وكتاب الحجاري .

كتاب المُحْكم :

لابي الحسن ابن سيدة المرسي (ت 458 هـ). وهو معجم مشهور، آثر فيه مؤلفه اتباع مدرسة العين وأساتذته الاندلسيين، رغم أن الحركة المعجمية بالمشرق كانت قد عرفت كتاب الصحاح للجوهري الذي هدم بناء الخليل، ويسر السبل على الناس في البحث عن الالفاظ. واذا كان الدارسون المعاصرون قد وقفوا إزاء هذه القضية متسائلين عن أسبابها، فإن الذي يبدو أقرب الى الصواب من كل الاحتمالات والتأويلات، هو أن ابن سيدة كان شديد التأثر بوالده إسماعيل ابن سيدة وأبي عمر الطلمنكي [69] تلميذَيْ الزبيدي الرجل الذي وقف حياته على إحياء مدرسة العين بالاندلس بعد أستاذه القالي. ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن ابن سيدة نشأ متضلعا في اللغة وحافظا لأصولها القديمة رغم عَمَاهُ، ودفعه هذا التفوق العلمي الى الاعتداد بنفسه، مصرحا بذلك في كل مناسبة، وساخرا من علماء وقته، وشاكيا من حسدهم وانتقادهم له، كما في مقدمة المحكم. وفي أرجوزته أبيات تشهد بذلك، وتصور حاله هذه إذ يقول :

يا عَجَباً من قَمَرٍ مَحْسودِ   هل فيه مَرْجاً ليد الحَسودِ ؟

يحسدني من لا ينال سَعْيِي   فَمَشْرَبِي مِنْ عِرْضِهِ، وَرَعْيِي

...الأبيات [70]

فهو بالرجوع الى طريقة الخليل المعقدة، وسلوكه مسلكه الوعر الذي ربما استصعبه معاصروه، كأنما يباهي بعلمه وقدرته على ما لا يستطيع غيره من هؤلاء الحساد والنقاد الذين يؤثرون السهل، ويشتغلون عن دقائق العلم بخزائن المال. قال في مقدمة المحكم : « وهل يقوم بانتقاد هذا النوع إلا مثلي، من

---

(69) هو أبو عمر أحمد بن محمد المعافري المقرىء الطلمنكي (ت 429 هـ). ترجمته في الصلة 48/1 ـــ تذكرة الحفاظ 1098/1 ـــ الديباج ص 39.

(70) ابن سيدة المرسي، لداريوكا بانيلاس تعريب الاستاذ حسن الوراكلي ـــ مجلة (المناهل) المغربية عدد 7 سنة 1976 ص 331.

ذوي الحفظ الجليل، والاضطلاع بعلم النحو، وصناعة التحليل ؟ وإن كنت بين حثالة جهلت فضلي، وأساء الدهر في جمعهم بمثلي ». وقد كان ابن سيدة لذلك غير مكترث بواحد من سابقيه الى صناعة اللغة بالاندلس، الا أبا علي القالي — كما يقول المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور [71] — ثقةً بعلمه، واحتراما لمكانته.

وهكذا فقد استفاد ابن سيدة في كتابه من جميع المعاجم السابقة، بما في ذلك كتاب العين، ومختصره للزبيدي الذي اقتبس منه ترتيبه للأبواب، وأخذ منهجه فطبقه على كتابه بتوسع [72]. وكان ابن سيدة قد أخذ هذا المختصر عن والده [73]. وقد أفاد أيضا من كتاب البارع لأبي علي، رغم أنه لم يُشِرْ اليه ضمن مصادره، إذ استقى منه أكثر ما فيه من الصيغ والمعاني « ولكنه حذف من مقتبساته الشواهد والصيغ والمعاني المتكررة، ونسبة الأقوال الى أصحابها، والمترادفات ..» [74]، كما يرى الدكتور حسين نصار، الذي يقول في موضع آخر : « وإذن فما قدمه ابن سيدة لحركة المعاجم هو محاولة تنظيم داخل المواد وحده، وتهذيب ترتيب الخليل باتباع مختصر العين للزبيدي، واعتماده على بارع القالي» [75].

ولعل من جملة ما اقتبسه ابن سيدة من البارع أنه زاد في معجمه بابا ليس في مختصر العين وكان يدعوه مرة بالسداسي، ومرة بالملحق بالسداسي، ووضع فيه الألفاظ الأعجمية وأسماء الأصوات. فطريقته هذه في جمع أسماء الأصوات والأسماء الأعجمية في أبواب خاصة هي شبيهة إلى حد ما بطريقة البارع، كما رأينا عند دراسته.

وكان معجم ابن سيدة المتحدث عنه، آخر كتاب يؤلف على طريقة العين، إذ مال الناس بعده الى طرق أسهل وأبسط، ورغم ذلك لقي عناية فائقة بالاندلس وخارجها، قديما وحديثا. فكثرت حوله التلخيصات والدراسات، كان

---

(71) السند التونسي في علم متن اللغة — مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة — ج 19 سنة 1965 ص 13.
(72) انظر مقدمة تحقيق (المحكم) لحسين نصار ومصطفى السقا ص 17
(73) فهرسة ابن خير ص 350
(74) المعجم العربي 386/1
(75) نفسه 391/1

أهم ما عرفنا منها بالأندلس :

تلخيص المحكم :

لأبي بكر (أو أبي عبد الله) محمد بن ابراهيم الرعيني (ت 620 هـ). قال المراكشي في الذيل : « وله اختصارات في كثير من كتب العلم والأدب والتواريخ، كاختصار تفسير القرآن لابن عطية، ومحكم ابن سيدة، ومطمح أبي الفتوح وقلائده » (96/6).

تلخيص المحكم :

لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن سعيد العنسي، أحد المهاجرين من الاندلس الى تونس أثناء القرن السابع، ذكره ابن خلدون [76].

وذكر الاستاذ محمد الفاضل ابن عاشور أن للعنسي كتابا آخر قَلَب فيه ترتيب المحكم الى ترتيب الصحاح للجوهري، وكان ابن خلدون يظن أنهما كتاب واحد [77].

رد على محكم ابن سيدة :

لأبي الحكم عبد الرحمان بن برجان (ت 627 هـ) أحد شيوخ أبي الحسن الرعيني. ذكره صاحب التكملة وقال : « وله رد على أبي الحسن ابن سيدة وتبيين لاغلاطه في المحكم من تأليفه، واستلحاقات على كثير من اللغة [78]. وتَنَابِيهُ مفيدة» [79].

المُبَرَّز في اللغة :

---

(76) المقدمة 1260/4

(77) السند التونسي في علم متن اللغة لابن عاشور ـــ بمجلة مجمع القاهرة، وهو مرجع سابق.

(78) كذا. ولعل الصواب في الأصل : (على كثير من كتب اللغة)

(79) التكملة 584/2 ـــ 585 كوديرا ـــ الترجمة رقم 1639

لابي عبد الله محمد بن يونس الحجاري (ت 462 هـ) [80] من الطبقة الثالثة في سلسلة الرواة عن القالي. وهو كتاب لا نملك عنه أية معلومات سوى ما ورد في فهرسة ابن خير الذي قال عنه : « وهو كتاب مثل المحكم لابن سيدة» [81]. ففي قوله : « مثل المحكم » ما قد يفيد أنه معجم لغوي أولا، وأنه ثانيا على نمط كتاب ابن سيدة الذي هو من أعيان مدرسة العين. وقد نقل عنه اللبلي في كتابه (تحفة المجد الصريح) كما صرح بذلك في المقدمة التي نشرها الاستاذ عبد العزيز الميمني بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـــ (أكتوبر 1960 ج 4 مجلد 35).

وقد روى هذا الكتاب من تلاميذ الحجاري : أبو بكر عاصم بن أيوب البلوي اللغوي الشهير، شارح الأشعار الستة، وأبو محمد بن السيِّد البطليوسي بواسطة أخيه أبي الحسن علي بن محمد [82].

○

تلك هي ثمرات هذه المدرسة ـــ العين ـــ التي أعيد إحياؤها بالأندلس على يد القالي وتلاميذه، فاستقطبت اهتمام المؤلفين والدارسين، وتقلص معها كل نشاط معجمي آخر لا يخضع لهذا التيار ولا يتماشى مع تلك الطريقة. فلو حاولنا بعد ذلك أن نتعرف على الثمرات التي أنتجها كل اتجاه آخر مخالف لما رأينا، لوجدنا أنفسنا أمام قلة قليلة من الكتب، وحظ أقل من العناية والاهتمام.

---

(80) ترجمته في الصلة 547/2 ط. مصر)

(81) الفهرسة ص 357

(82) نفســـه : 357

2 — في اتجاه الأُلفبـــاء

يقصد بالاتجاه الألفبائي من بين اتجاهات المدارس المعجمية العربية في ترتيب المداخل، المنهج الذي اتبعته سلسلة من المعجمات، والقائم على نظام الألفباء عوض النظام الصوتي، بأن يقع الابتداء بالمفردات التي أولها أو آخرها حرف الألف (أو الهمزة) وبعدها المفردات التي أولها أو آخرها الباء وهكذا الى نهاية لائحة الأبجدية العربية. ولذلك تقسم هذه المعاجم عادة الى أبواب أولها باب الألف (أو الهمزة) وآخرها باب الياء. إلا أنه داخل الباب الواحد هناك من يرتب المداخل حسب الأول من حروفها الأصلية، وهناك من يعكس فيرتبها حسب الحرف الذي تنتهي به. فقد كان أبو عمرو الشيباني (ت 213 هـ) أول من ألف معجما شاملا ـــ وهو كتاب الجيم ـــ على الطريقة الاولى، وتبعه معجميون آخرون كابن دريد (ت 321 هـ) في (جمهرة اللغة) وأحمد بن فارس (ت 395 هـ) في (المجمل) و (المقاييس). كما كان الفارابي (ت 370 هـ) في (ديوان الأدب) أول من يُعتقَد أنه صنف معجما على الطريقة الثانية أي باعتبار الحرف الأخير في الكلمة، وتبعه آخرون أيضا أمثال الجوهري (ت 400 هـ) في (تاج اللغة وصحاح العربية) والصَّغاني (ت 650 هـ) في (العباب) وابن منظور (ت 711 هـ) في (لسان العرب) والفيروزبادي (ت 818 هـ) في (القاموس المحيط) وغيرهم.

وهكذا فقد شاع هذا الاتجاه بشطريه الكبيرين في المشرق. وأما بالاندلس فإننا لا نعرف بها من المعاجم اللغوية الشاملة التي اتبعته شيئا ذابال، اللهم ما كان من كتاب (المُوعَب) الذي وإن كان مبوبا حسب الأبنية فإن مواد كل باب قد رتبت على طريقة الصحاح، وما كان من أسماء بعض الحواشي والنقود التي دارت

حول الصحاح لأبي نصر الجوهري، التي يعود كل ما نعرفه منها الى القرن السابع الهجري. على أن الطريقة الألفبائية في ترتيب المفردات قد عرفت بشكل من الأشكال، ببلاد الأندلس، في بعض كتب الغريب، والمثلثات، والمفردات الطبية كما سنرى. وليس هناك في نظري مبرر يمكن به أن نفسر قلة الانتاج الاندلسي في هذا النوع من المعاجم مع سهولته وشيوعه في الشرق منذ القرن الثالث، سوى تعليل واحد وهو ما سبق ذكره من طغيان اتجاه مدرسة العين، وشدة تأثير المدرسة القالية التي سعت الى ترسيخ منهجها في التأليف المعجمي وتغليبه على ما سواه، حتى صار ذلك من التقاليد العلمية التي يأخذ بها اللغويون والدارسون.

2 ـ 1 ـ المُوعَب :

وهو الكتاب الذي ألفه أبو غالب تَمَّام بن غالب المعروف بابن التَّيَّاني (ت 436 هـ) من رجال الطبقة الثانية في الرواة عن القالي . وقد سبق لي أن فصلت القول في صاحب الكتاب وفيما نشأ حول اسم هذا المعجم من خلافات بين أصحاب التراجم ، وَبَيَّنْتُ بعد مناقشة الآراء ، أن الاسم الصحيح هو (المُوعَب) وأن الخلاف فيه إنما كان نتيجة تصحيف لا غير [83].

وما أريد هنا هو تصحيح خطأ وقعْتُ فيه سابقا، مثل كثير من دارسي المعجم العربي ، وهو القول إن كتاب ابن التياني من المعاجم الاندلسية المؤلفة على طريقة العين ، والسبب في هذا الخطأ نص السيوطي الذي ورد في المزهر (87/1 ـ 88) وهو قوله : « قال أبو الحسن الشَّاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فُضِّلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ، ومختصر الزاهر للزَّجاجي ، ومختصر سيرة ابن إسحاق لابن هاشم ، ومختصر الواضحة للمفضل بن سلمة.

قال الشَّاري : وقد لهَجَ الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف العين من الشواهد المختلة والحروف المصحفة ، والأبنية المختلفة . وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف

---

(83) انظر للمؤلف : أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس (1983).

المعجم من كتب اللغة مثل جمهرة ابن دريد وكتب [84] كراع لاجل صغر حجمه، وألحَقَ به بعضُهم ما زاده أبو علي البغدادي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة .

قال : ومذهبي ومذهب شيخي أبي ذر الخُشَني وأبي الحسن ابن خَروف ، أن الزبيدي أخل بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب منه .

ولما عَلِمَ ذلك من مختصر العين الامامُ أبو غالب تمَّامُ بن غالب المعروف بابن التيَّاني ، عَمِل كتابَهُ العظيمَ الفائدة ، الذي سماه [المُوعب] بفتح العين [85] وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلافَ فيه على وجهه دون إخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب، وطَرَح ما فيه من الشواهد المختلة والحروف المصحفة والابنية المختلفة، ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد في الجمهرة، فصار هذا الديوان محتويا على الكتابين جميعا . وكانت الفائدةُ فيه فَصْلَ كتاب العين من الجمهرة، وسياقَةُ بلفظه لينسب ما يحكى منه الى الخليل . الا أن هذا الديوان قليل الوجود، لم يُعَرج الناسُ على نسخه، بل مالوا الى جمهرة ابن دريد، ومحكم ابن سيدة وجامع ابن القزاز، وصحاح الجوهري، ومجمل ابن فارس ، وأفعال ابن القوطية، وابن طريف. ولم يعرجوا أيضا على بارع أبي علي القالي ، ومُوعبَ أبي غالب ابن التياني المذكور، وهما من أصح ما ألف في اللغة على حروف المعجم ...».

فسياق هذا النص قد أوحى إليَّ وإلى من سبقني من دارسي المعجم العربي بالاعتقاد أن (مُوعَب) ابن التياني ما هو إلا تهذيب لكتاب العين أو مختصره للزبيدي، وأن هذا التهذيب لم يتناول منهج الترتيب والتبويب وانما اقتصر على تحقيق مادة الكتاب والتثبت من صحة الالفاظ والشواهد. وهذا ما جعلني في دراستي السابقة عن القالي وعن المعجم العربي بالاندلس، أجعل هذا الكتاب من بين المؤلفات الدائرة في فلك العين، الى أن علمتُ مؤخرا بالمقال الذي كان الأب

---

(84) كـذا

(85) سقوط لفظ (الموعب) من هذا النص كان من أسباب الخلط الذي وقع في اسم هذا الكتاب، وتضارب الآراء.

انستاس الكرملي قد نشره بمجلته : (لغة العرب) (المجلد 4 ج 1 تموز 1914) [86] تحت عنوان : (الموعب معجم بديع فُقِدَ فَوُجِدَ) وأطلعني زميلي الدكتور عبد الجبار جعفر القزاز العراقي مشكورا على ما كتبه هو عن هذا الاكتشاف الذي تمّ [87] فوجب بذلك العدول الى الصواب والحق أحق بأن يتبع . ومجمل ما ذكره الكرملي عن الكتاب حسب ما جاء به الدكتور القزاز نورده فيما يلي :

1 ـــ عثر الكرملي على نسخة تامة من (الموعب) عند السيد حسن صدر الدين الكاظمي أحد علماء الكاظمية تقع في 124 ورقة من القطع المتوسط، وأعلن عن نيته في نشره حال حصوله على نسخة ثانية منه. ولم يتحقق هذا الأمل، بل لقدمات الرجل وأصبح الكتاب مرة أخرى من المفقودات.

2 ـــ يستفاد من القطعة الصغيرة التي نشرها الكرملي والوصف الذي قدمه للكتاب ، أنه كان مؤلفا حسب الأوزان المختلفة للأفعال والاسماء « وذلك أنه كان يأخذ كل وزن من أوزان الأسماء والأفعال والأسماء ثم يسرد جميع ما جاء في اللغة على ذلك الوزن، مرتبا تلك الالفاظ مراعيا فيها اخر حرف من الكلمة ثم يورد الواحدة بعد الواحدة ناظرا الى أولها بعد أن يكون قد حفظ في نفسه الحرف الاخير، وإذا تم فصل من الفصول ينتقل الى فصل آخر. وكذلك ينتقل من باب الى باب حتى يأتي الى آخر ألفاظ الوزن فيتقدم الى وزن أخر. وهكذا يفعل الى أن تتم جميع الاوزان » [88]. ورغم غموض هذا الوصف فإن ما يمكن التأكد منه هو أن معجم ابن التياني لا يختلف عن طريقة الصحاح في ترتيب المداخل داخل كل وزن من الأوزان، وإن كان يختلف عنه في التبويب . فالصحاح مبوب حسب الحروف الأبجدية، والموعب مبوب حسب الأوزان والأبنية، شأنه في ذلك شأن ديوان الأدب للفارابي. وهذا مثال من (باب فَعَلَ يَفعِل بفتح العين من الماضي وكسرها في المستقبل) يقول فيه :

(86) لم نطلع لحد الآن على هذا العدد من المجلة المذكورة لانه أصبح نادر الوجود، لاسيما وأن الطبعة الجديدة للمجلة في مجلداتها السبعة لا تتضمن المقال المذكور.

(87) انظر كتاب الدكتور عبد الجبار القزاز بعنوان (الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين) ـــ بغداد 1981.

(88) المرجع السابق ص 29 ـــ 30

«تَبَّ : إذا هلك تبابا وتباً.
وَحَبَبْتُهُ : حبا بمعنى أحببته، وهذا شاذ لا يأتي يَفْعِلُ (بالكسر) في المضارع، وهو واقع، الا أن يشركه يفعِل (بالكسر)
وَدَبَّ : الشيخُ دبيبا : أي مشى رويدا.
وزَبَّتِ : الشمسُ زُبوباً : إذا دَنَتْ للغروب.
وَشَبَّ : الغلامُ شبابا
وشبَّ : الفرسُ أي قَمَص
وضَبَّ : الماءُ ضبيبا : أي سال، ويقال للرجل إذا اشتد حرصه على الشيء : تضِبُّ لِثَاتُهُ قال بشْرٌ بن أبي خازم :

وبني تميمٍ قد لقينا منهـمُ
خيلًا تَضِبُّ لِثاتُها للمَغْنَـمِ

وغَبَّ : عندنا أي بات، ومنه سمي اللحم البائت : الغابَّ.
وَغَبَّتِ : الأمُورُ أي صارتْ الى أواخرها، ويقال في المَثَل : رويدا الشعر يَغِبُّ.
وَغَبَّتِ : الحمى : من الغبّ.
وَغَبَبْتُ : عن القوم أي : جئتُهم يوما وتركتهم يوما.
وَغَبَّ : اللحمُ أي : أنْتَنَ
وَنَبَّ : التَّيسُ نَبِيباً : صاح عند السفاد
وَهَبَّ : التَّيسُ هَبِيباً . مثل : نَبَّ نَبِيباً
وَبَتَّ : الشيء : قطعه
وَشَتَّ : الأمر : تفرق شتاتا
وَكَتَّ : البعيرُ كتيتا : أي صاح صياحا لينا.
وَكَتَّتِ : القدرُ : إذا غلتْ، وكذلك الجرةُ وغيرها.
فدثَّتِ : السماءُ : أي جاءت بالدّثّ وهو المطر الضعيف ...»

وبالجملة فقد رتبت المداخل في هذا الباب على النحو التالي :

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
تب	بت	دث	شج	سح	زخ	جد	شذ	تر	جز	حس	قش	بص	بض
حب	شت	رث	دج	شح	فخ	حد		حر	عز	خس	كش	قص	
دب	كت	غث	ثج	صح		سد		خر	فز	نس	نش	كص	
زب		مث	ضج	فح		شد		زر	نز				
شب		نث	عج	نح		صد		صر					
ضب			لج			ند		طر					
غب			نج			هد		عر					
نب								غر					
هب								قر					
								كر					
								هر					

ومن ذلك نلمس بوضوح أن المؤلف رتب مداخل كل وزن من الاوزان التي قسم إليها أبواب كتابه حسب ترتيب الحروف الهجائية العربية العادية (أ — ب — ت — ث — ج — ح ..الخ) مراعيا في ذلك حرف الكلمة الأخير ثم الأول، أي حسب المنهج المعروف في الصحاح والقاموس، وغيرهما من المعاجم الألفبائية القديمة.

3 — يتسم الشرح الذي يقدمه (الموعب) لمداخله بشدة الاختصار والايجاز، دون إهمال لما ينبغي أحيانا من الشواهد الشعرية والنثرية، وإن وقع إهمال الأسانيد وأسماء المصادر . ولذلك جاء الكتاب صغير الحجم مختصرا غاية الاختصار .

2 ـ 2 ـ ما دار حول الصحاح :

نذكر تحت هذا العنوان ما استطعنا معرفته من الحواشي والدراسات الاندلسية التي قامت بالاندلس حول معجم الصحاح للجوهري وهي :

ـــ كتاب الجمع بين الصحاح والغريب المصنف :

لابي إسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي (ت 646 هـ) [89].

ـــ حاشية محمد بن علي الشاطبي :

(ت 648 هـ)، على الصحاح [90]

ـــ نقود على الصحاح :

لابي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج الاشبيلي (ت 651 هـ) [91].

ـــ وقد **أكمل** الشيخ عبد الله بن محمد الانصاري البسطي الاندلسي (من القرن السابع) كتاب **(التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح)** الذي ابتدأه ابن القطاع الصقلي، ثم ابن بري المصري (ت 582 هـ) [92].

---

(89) كشف الظنون 600/1

(90) نفســه 1072/2

(91) نفســه

(92) نفســه

3 ـــ في اتجاه المعاني

يقصد بعض الدارسين بمعاجم المعاني في العربية ــ في مقابل معاجم الالفاظ ــ تلك المدونات اللغوية التي تقسم الى مجموعة من الموضوعات، في كل موضوع طائفة من المفردات ليس بينها أي ترتيب، ولا يجمعها سوى قاسم مشترك واحد هو الحقل الدلالي المعين الذي تنتسب إليه والذي يلخصه عنوان الفصل أو الباب. ولذلك فإن إطلاق صفة « المعجم » عليها هو من باب التجوز. لان من خصائص المعجم الدقة في الترتيب، والتيسير على طالب المادة، وهما أمران لا يتحققان في هذا الاتجاه.

ومع هذا الذي ذكرناه فإن ما يبقى لهذه المدونات من صفات المعجم هو أنها تحتوي على الذخيرة اللغوية نفسها التي تحتوي عليها معاجم الالفاظ، تعرضها ثم تقوم بشرحها والاستشهاد عليها.

وإن الذي يتتبع تاريخ المعجم العربي وحركة تدوين اللغة يعرف أن العرب بدأوا منذ المرحلة الاولى بكتابة رسائل صغيرة حسب الموضوعات (المطر ــ الخيل ــ الشجر ــ الابل ــ خلق الانسان ــ خلق الفرس ....).

وقد جاءت بعد ذلك مرحلة تالية انصرف خلالها بعض اللغويين الى جمع هذه الرسائل وضمها بعضها الى بعض، فكانت حصيلة تلك العملية ظهور هذا النوع من المدونات الشاملة التي تسمى بمعاجم المعاني. فمعجم المعاني إذن ليس إلا مجموعة من هذه الرسائل الصغيرة. ولكن هذا لا يعني أن تصنيف الرسائل حسب الموضوعات قد توقف بعد ظهور المدونات الكبرى الشاملة، بل ظل ذلك موجودا بجانبها، وقد عرفت الاندلس بدورها مجموعة قليلة من هذه الرسائل. فقد

ألف القالي رسالة في (**الابل ونتاجها وجميع أحوالها**) [93] و (**كتاب حلى الانسان**) و (**كتاب الخيل وشياتها**) [94]. وكلها من التراث المفقود. ثم ألف بعد ذلك جماعة من الأندلسيين في الخيل والشيات خاصة رسائل وكتبا وأراجيز، نذكر منها على سبيل المثال : (**حلية الفرسان وشعار الشجعان**) لعلي بن عبد الرحمان ابن هذيل (القرن الثامن). ووضع عبد الله بن القربالي (ت 403 هـ) تلميذ أبي علي، **تصنيفا في الأنواء** ذكره المراكشي في الذيل (219/4) وابن الابار في التكملة (791/2). وألف أبو عبيد البكري **رسالة مشهورة في النبات**، وأبو عبد الله النفزي (ت 524 هـ) **شرحا على رسالة أبي حنيفة الدينوري في النبات** أيضا، إلا أن التأليفين الاخيرين يعتقد الآن أنهما مفقودان.

هذا عن الرسائل الموضوعية الصغرى وأهم ما عرف منها بالاندلس، أما المدونات الكبرى التي تجمع بين هذه الرسائل وترتبها فتسمى إذذاك بمعاجم المعاني، فإنها في الواقع لم تكتمل في صورتها النهائية إلا على يَدَيْ رجلين من أجل علماء اللغة بالاندلس، ونقصد بهما محمد بن أبان بن سيِّد اللخمي القرطبي وعلي ابن اسماعيل ابن سيدة المرسي، أما الأول فهو صاحب كتاب (السماء والعالم) وأما الثاني فهو صاحب كتاب (المخصص). فإذا كان المشارقة قد وضعوا من الكتب اللغوية ما يمكن سلْكه في هذا النوع من المعاجم، كما فعل ابن السكيت صاحب (الالفاظ) وأبو عبيد صاحب (الغريب المصنف) وقدامة بن جعفر صاحب (جواهر الالفاظ) والهمذاني صاحي (الالفاظ الكتابية) والثعالبي صاحب (فقه اللغة)، فإنهم جميعا لم يبلغوا فيما وضعوه شأو هذين الاندلسيَّين من حيث الإحاطة والشمول والتوسع في عدد الأبواب والموضوعات. والواقع أنه بعد ابن سيدة الذي توفي سنة 458 هـ سيتوقف التأليف في هذا النوع من الكتب اللغوية، اللهم ما كان من بعض المحاولات القليلة الاهمية مثل كفاية المتحفظ لابن الأجدابي.

---

(93) ابن خير ص 355، وقال انه في خمسة اجزاء، وذكره غيره كالزبيدي في الطبقات ص 186، والقفطي في الانباه 206/1

(94) عند بعض مترجمي القالي أن الكتابين الأخيرين هما كتاب واحد، والظاهر أنهما ليسا كذلك، وانظر بالاضافة الى مصادر الهامش السابق معجم الادباء، 129/7 والوفيات 226/1.

3 ــ 1 ــ كتاب السماء والعالَم

المشهور عند الدارسين القدامى والمحدثين من معاجم المعاني الاندلسية هو كتاب (المخصص) الذي طبع في سبعة عشر جزءا، وقد جمع فيه صاحبه حصيلة الكتب والمعاجم اللغوية السابقة له. إلا أن هذا الكتاب لم يكن ــ كما يزعم أحد المستشرقين المعاصرين [95] ــ هو أول ما ظهر ببلاد الاندلس من معاجم المعاني والموضوعات، بل كان مسبوقا بكتاب آخر لم ينل من الشهرة والحظوة ما ناله المخصص، ونقصد به (كتاب السماء والعالَم) لابي عبد الله محمد بن أبَان بن سيِّد الذي قيل إنه توفي سنة 354 هـ. وهو كتاب لم يصل إلينا منه ــ فيما نعلم ــ سوى جزء واحد ما يزال ثاويا فوق رفوف المخطوطات.

وقد وقع حول معجم ابن أبَان المذكور خلاف كبير بين المؤرخين والدارسين نستعرضه فيما يلي :

1 ــ فقد نسبته جماعة منهم لأخي المؤلف المذكور، وهو أحمد بن أبان بن سيِّد (ت 382 هـ) [96] كابن حزم في رسالته في فضل الاندلس (ص 16)، والقفطي في (إنباه الرواة) الذي ذكره حين ترجم له (30/1) ثم قال في ترجمة أبي علي الشلوبيني (من علماء القرن السابع) : إن أبا العباس أحمد بن مفرج بن الرومية العشاب الاشبيلي، أخبره أنه « ..لما عزم على الخروج إلى المشرق، ابتاع من عمر الشلوبيني كتاب (العالَم في اللغة) لأحمد بن أبان بن سيد الأشبيلي الاندلسي في اللغة، في أربعين مجلدا، وهو كتاب غريب عجيب، لا يَسُوغ لعالم عاشق في علم العربية أن يخرج من يده » [97]. ومنهم المقري في النفح (351/4) الذي ذكر أنه رأى بعضه بفاس، والسيوطي في البغية (ص 126)، وياقوت في معجم الادباء (203/2) وحاجي خليفة في كشف الظنون (1121/2)، والبغدادي في هدية العارفين (68/1).

---

(95) انظر (ابن سيدة المرسي) لداريو كاباثيلاس تعريب الاستاذ حسن الوراكلي مجلة (المناهل) العدد 1 ص 182.

(96) انظر ترجمة أحمد بن أبان في الجذوة للحميدي ص : 110 ــ والصلة 14/1 (الحسيني) ــ والوعاة ص 126 ــ وانباه الرواة 30/1 ــ ومعجم الادباء 203/2.

(97) الانباه : 334/2

وأما الحميدي في الجذوة، فقد ترجم أولا لاحمد بن أبان بن سيد (ص 110) ولم ينسب اليه أي كتاب، ثم ذكر في (باب من نسب لاحد آبائه ولم أعلم أسمه) تحت عنوان : (ابن سيد) — دون تعريف — الجملة التالية :

« .. إمام في اللغة والعربية، كان في أيام الحكم المستنصر. له في اللغة الكتاب المعروف (بكتاب العالم) نحو مئة مجلد مرتب على الأجناس، بدأ بالفلك، وختم بالذرة. وله في العربية الكتاب المنبوز بكتاب (العالم والمتعلم) على المسألة والجواب .. ذكره أبو محمد علي بن أحمد [98] وأثنى عليه، ولم يسمه لنا، ولعله أحمد ابن أبان بن سيد المذكور في بابه، والله أعلم» [99]. وقد نقل عنه ذلك كله، الضبي في بغية الملتمس، دون زيادة (ص : 538).

فهذه طائفة من العلماء — وقد نقل بعضها عن بعض — تواطأت على نسبته لاحمد بن أبان، ولم يخامر أحدهم شك في ذلك غير ما لمسناه في كلام الحميدي من تحفظ.

2 — ونسبته جماعة ثانية الى أبي الحسن ابن سيدة صاحب المخصص، ومنهم : الشقندي في رسالته [100]، وياقوت في المعجم (232/12 — 233)، والصفدي في نَكْت الهميان (ص : 205).

3 — وبعض المحدثين ممن درسوا كتب ابن سيدة، ذكروا (كتاب السماء والعالم) ضمن مؤلفاته، ولكنهم نبهوا على أنه ينسبُ أيضا لاحمد بن أبان، ومن هؤلاء محققا كتاب (المحكم) الأستاذان : مصطفى السقا وحسين نصار [101] ومنهم أيضا الاستاذ محمد الطالبي [102]، والمستشرق الاسباني (داريو كابانيلاس) [103].

4 — وهكذا نجد أخيرا أن أحدا من القدامى أو المحدثين لم ينسب الكتاب لصاحبه الحقيقي وهو محمد بن أبان اللخمي، ونستثني منهم أبا جعفر

---

(98) يقصد شيخه ابن حزم

(99) الجذوة : ص 381

(100) رسالة الشقندي (ضمن رسائل في فضل الاندلس) نشر صلاح الدين المنجد ص 34 — وانظر النفح 18/4.

(101) انظر مقدمة تحقيق المحكم ص 8

(102) انظر كتاب الطالبي : (المخصص لابن سيدة — دراسة ودليل) ص 7

(103) مجلة المناهل — العدد 4 ص 276

اللبلي فإنه ذكره في كتابه (بغية الآمال) (ص 102). وقد نقل منه فقال : «ووجدت أنا حرفا آخر وهو : حَبَبْت الرجل إحبه بكسر الهمزة، حكاه الامام : أبو عبد الله محمد بن أبان بن سيد القرطبي في كتابه الكبير المسمى : السماء والعالم».

وتلك هي نواحي الخلاف بين المؤرخين والدارسين حول هذا الكتاب الذي كان يظن أنه ضاع برمته ولم يسلم منه شيء. إلا أنني اهتديت أخيرا الى الوقوف على الجزء الوحيد المتبقي منه (وهو السفر الثالث) المحفوظ بخزانة القرويين بفاس تحت رقم : 194. ولا شك أنه من النوادر التي لا نعرف لها مثيلا في مكتبات العالم وخزائنه. فتبين لي بما لا يقبل الشك أنه لمحمد بن أبان بن سيد وكنيته أبو عبد الله. وليس لاخيه أحمد الذي يكنى أبا القاسم. إذ فيه فضلا عن العنوان الواضح على ورقة الغلاف ونصه : «السفر الثالث من كتاب السماء والعالم في اللغة تأليف الشيخ الفقيه العلامة النسابة النحوي اللغوي أبو (كذا) عبد الله محمد بن سيد اللخمي القرطبي». تنصيصات خلال صفحاته، تدل على نسبته للمؤلف المذكور. ومن تلك التنصيصات قوله : «قال أبو عبد الله : حدثنا أبو علي» وقوله «قال أبو عبد الله : قال أبو علي ...» وقد كان أبو علي القالي أهم شخصية علمية ينقل عنها في هذا المعجم كما سنرى بعد قليل.

وغالب الظن أن الذين نسبوه لابن سيدة من المؤرخين، قد تشابه عليهم الاسمان المتفقان في أكثرية الحروف، فخلطوا لذلك بين (ابن سيِّد) [104] و (ابن سِيدَة) [105]. على أن الخلط بين الأخوين أحمد ومحمد كان أكثر احتمالا لاشتراكهما في اسم الأب والجد . ويبدو لي أيضا أنه من البعيد جدا أن يؤلف ابن سيدة معجمين لغويين متشابهين في المادة والموضوع وعلى طريقة واحدة، هي طريقة التبويب حسب المعاني، إذ أن كتاب السماء ــ كما سنرى ــ شديد الشبه بكتاب المخصص. واذا كان ذلك مستبعدا، فأبعد منه أن يتفق أخوان شقيقان

---

(104) وهو بفتح السين وتشديد الباء المكسورة.

(105) ربما كان من قبيل الخلط بين الاسمين المتشابهين لابن سيد وابن سيدة، أن المؤرخين نسبوا لكليهما أيضا، كتابا سمى : (شرح كتاب الأخفش) فقد نسبه لاحمد بن أبان كل من السيوطي في الوعاة (ص 126)، والحميدي في الجذوة (ص 381)، وياقوت في معجم الادباء (203/2)، ونسبه لابن سيدة كل من السيوطي (ص 327)، وابن حزم في رسالته (ص 16)، وياقوت في المعجم (233/12)، والصفدي في النكت (ص 205).

ومتعاصران على وضع معجمين يحملان نفس الاسم.

ولما كان أغلب من أرخ لأحمد بن أبان بن سيّد، وعلي بن إسماعيل ابن سيدة، قد نسب لهما كتابا اخر يسمى : (كتاب العالم والمتعلم على المسألة والجواب) أو (كتاب العالم والمعلم) (106) ـــ وهو كتاب في النحو وقواعد العربية كما يفهم من الصفات التي حلاه بها هؤلاء المؤرخون ـــ زاد ذلك الأمر كله التباسا وخلطا، إذ من السهل لو حذفنا الشطر الثاني من عنوان هذا الكتاب وقلنا : (كتاب العالم) أن يوقعنا هذا في لبس، فنخلط بينه وبين الكتاب الأول الذي ليس موضوعه النحو والعربية، وليس مصنفا على المسألة والجواب. وقد حدث هذا بالفعل إذ وجدنا المؤرخين يسمون المعجم الذي نحن بصدده تارة بكتاب (السماء والعالم) وتارة يكتفون بقولهم : (كتاب العالم) في اللغة. ولكي نحسم هذا الخلاف الطويل نقول :

1 ـــ إن المعجم اللغوي الذي نسب خطأ لأحمد بن أبان ثم لابن سيدة، ووصف بأنه كان يقع في مئة جزء، على أغلب الأقوال (107)، وأن صاحبه قد رتبه على الاجناس، فبدأ بالفلك وانتهى بالذرة، هو كتاب (السماء والعالم) ـــ بفتح اللام من العالم ـــ أو (كتاب العالم في اللغة) على الاختصار، وهو على التحقيق من تأليف أبي عبد الله محمد بن أبان بن سيّد، والموجود منه اليوم السفر الثالث فقط. أما عن القصة التي ذكرها القفطي رواية عن ابن العشاب الذي قال إنه اشترى كتاب أحمد بن أبان من عمر الشلوبيني، فهي عندي نتيجة من نتائج ذلك الالتباس الخطير الذي وقع فيه القدماء لتشابه نسب الأخوين، واشتهار أحدهما ـــ وهو أحمد ـــ دون الاخر. على أني لا أكتم أنه يساورني احتمال أن يكون (بعض الكتاب) نفسه الذي رآه أحمد المقري المتوفي سنة (1041 هـ) بفاس، هو (بعض الكتاب) نفسه الذي يوجد منذ القرن التاسع ـــ على الأقل ـــ بخزانة هذه المدينة، واذا صح هذا الاحتمال الخاطر فلا شك أن المقري واهم في صاحب الكتاب.

---

106) ممن نسب هذا الكتاب لأحمد بن أبان : القفطي، وياقوت، ونسبه لابن سيدة كل من الشقندي، والصفدي في النكت، وقد اختص ياقوت من دون غيره بتسميته كتاب «العالم والمعلم».

(107) وحين ذكره القفطي في قصة ابن العشاب قال إنه في أربعين مجلدا (الانباه 334/2).

2 ـــ إن الكتاب النحوي الذي ينسب لكل من أحمد بن أبان وابن سيدة وقيل فيه إنه مرتب على المسألة والجواب، هو كتاب (العالم والمتعلم) [108]. الذي يختلف عن الكتاب الأول مادة وعنوانا، وإن كنا لا نستطيع تحقيق نسبته لصاحبه.

أما مؤلف (السماء والعالم) : أبو عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي، فإن من سوء حظه أن المصادر لم تحتفظ لنا بكثير من أخباره وأسماء آثاره، بل إن الذين ترجموا له ـــ فيما نعلم ـــ هم ثلة قليلة ومعدودة [109]، ورغم ذلك نستطيع أن نرسم ملامح من شخصيته العلمية، فنقول : إنه كان من تلاميذ أبي علي القالي المشهورين، أخذ عنه علوم العربية والأدب، وروى عنه الكتب اللغوية التي أدخلها للاندلس : ككتاب الأجناس لابي نصر [110]، وسبعة كتب من تأليف ابن السكيت [111]. وكتاب الفرق لثابت [112] وكتاب الخيل لابي عبيدة، وكتاب النقائض له [113] وكتاب المفضليات [114] وغيرها. وقد شارك أخاه أحمد، وأبا بكر محمد بن الحسين الفهري، في تصحيح كتاب العين ومقابلة نسخه بإشراف القالي، وبتكليف من الحكم المستنصر [115]. وكان فيما يصفه مترجموه على قلتهم ـــ عالما بالعربية، حافظا للاخبار والآثار والايام والمشاهد والتواريخ، فضلا عن اللغة والغريب. على أننا يمكن أن نلمس جانبا من هذه الثقافة الأدبية واللغوية من خلال نظرة سريعة في معجمه الكبير الذي ملأه شعرا ولغة وخبرا وتاريخا، ولعل هذه الثقافة المتضلعة التي شهد له بها المؤرخون، هي التي أهلته للمكانة السامية لدى الحكم الأموي، فقربه وولاه أحكام الشرطة [116]. وإذا كنا لا

---

(108) ذكر محققا كتاب المحكم هذا الكتاب ضمن مؤلفات ابن سيدة، وسماه : (كتاب شرح العالم والمتعلم)، كان ابن سيدة قد شرح به كتابا آخر يحمل عنوان (العالم والمتعلم) ويؤكد ذلك المستشرق الاسباني داريو كابانيلاس فيقول : (ولا شك أنه شرح على كتاب العالم والمتعلم المعزو خطأ لابي حنيفة النعمان بن ثابت) ـــ انظر المناهل العدد 4 ص 276.

(109) انظر ترجمة محمد بن أبان في : تاريخ ابن الفرضي : 67/2 ـــ والوعاة للسيوطي : ص 4 ومعجم الأدباء : 17/17 ـــ والوافي بالوفيات : 334/1.

(110) (111) فهرسة ابن خير ص : 381 ـــ 382.

(112) (113) (114) فهرست ابن خير ص : 382 ـــ 383 ـــ 390 حسب الترتيب

(115) انظر ما سبق قوله عن (كتاب العين) بهذا البحث.

(116) كان أخوه أبو القاسم أحمد بن أبان أيضا يلقب بصاحب الشرطة، ولسنا متأكدين من كونهما معا قد توليا هذا المنصب.

نستطيع أن نعرف عنه أكثر مما ذكر، فاننا أيضا لا نعلم شيئا عن مؤلفاته التي يشير اليها القدامى بقولهم : «وألف كتبا» كما يقول السيوطي، أو قولهم وهم بصدد الحديث عن علاقته بالمستنصر : «وألف له الكتب وكتب عنه» كما هي عبارة ابن الفرضي وياقوت. بل ان الغريب في الأمر حقا أن لا يكون أحد مترجميه قد أشار ولو مرة الى كتابه (السماء والعالم) الذي نتحدث عنه، وأن لا نجد له أي صدى في كتب المعاصرين له أو المتأخرين عنه، سوى الاشارة التي جاءت عرضا في كتاب اللبلي (من القرن السابع) وقد تقدم ذكرها. ولكن هذا لا يقدح في كون الكتاب من تأليفه، فكثيرا ما صادفتنا مثل هذه الظاهرة في تاريخ الاندلس الذي تعرض لكوارث متلاحقة أودت بالخير والنبيل منه، ومحقت العديد من معالمه وملامحه. وأما الكتاب في حد ذاته فلم يصل الينا كاملا حتى نستطيع الحكم له أو عليه، حكما علميا دقيقا، ونستخلص منه سببا قد يكون مما قلل حظه عند العلماء، وزهدهم في مطالعته وتداوله وحفظه من الضياع. ولكن الجزء المتبقى منه لا يدل على أنه كان هزيل المادة قليل المنفعة كما قد يظن، اللهم إذا تعلقنا بسبب آخر فقلنا إن كتاب المخصص بضبطه واستيعابه وحسن تبويبه واختصار عبارته، قد غطى على كتاب ابن أبان، وحجب سمعته، فسقط من أيدي الدارسين والمتعلمين، أو قلنا إن ضخامة حجم (السماء والعالم) الذي كان يقع في مئة جزء — كما يقول المؤرخون — هي السبب في انصراف الناس عنه وكثيرا ما انصرفوا عن مثل هذه الكتب الضخمة.

ويقع هذا السفر الذي قدر له أن يسلم من أيدي الكوارث في 323 صفحة من القطع الكبير، وهو مكتوب بخط أندلسي قديم يظن أنه يعود الى القرن الثامن الهجري، وقد خط على صفحة غلافه بحروف كبيرة عنوانه واسم مؤلفه على هذا النحو : «السفر الثالث من كتاب السماء والعالم في اللغة، تأليف الفقيه العلامة النسابة النحوي اللغوي أبو [117] عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي». وتحته بخط آخر، تحبيس لمالكه على الخزانة القروية عام 855 هـ. وقد تضمن هذا التحبيس أيضا عنوان الكتاب واضحا.

---

(117) كذا في الأصل

وهو يبتدىء بعد الحمدلة مباشرة بذكر (باب ما يقال في وسط الانسان) وينتهي بباب في بعض ما تعالجه الاعراب من أطعمة وطبيخ. وآخر عبارة فيه قول ناسخه : «تم السفر الثالث بحمد الله وحسن عونه وتأييده وتوفيقه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم، يتلوه بعون الله تعالى باب لغات الثريد وصفاته» [118].

ونحن باستعراضنا لأبواب هذا الجزء وسائر فصوله، نستطيع تسجيل ملاحظاتنا في النقط التالية :

1 ــ إنه على كبر حجمه لم يتضمن الا بعضا قليلا من الابواب التي تدرج عادة تحت عنوان (خلق الانسان). والأبواب الموجودة تبدأ بالبطن والوسط وتنتهي بالقدم والرجل، أما غير ذلك من المواضيع التي تتناول الرأس وما يليها الى البطن، فهي بلا شك قد وردت مضمنة في الجزئين السابقين. على أن بقية الابواب المذكورة فيه تتناول (أوصاف الانسان) في كثير من أحواله، كالألوان والحركات والأصوات، والمشي، واختلاف الطبائع، والقصر والطول، والاختلاط، والاجتماع، والنوم واليقظة، والأكل والشرب، وغير ذلك، فإذا أضفت الى هذا أن المؤرخين كانوا إذا ذكروا كتاب ابن أبان قالوا انه بدأه بالفلك وختمه بالذرة، علمت أن المؤلف ربما كان قد مهد لذكر خلق الانسان، وهو أول موضوع تتناوله معاجم المعاني العربية في العادة، بالحديث عن السماء والافلاك، وما يكتنف العالم من مخلوقات، فيكون لذلك قد ابتدأ بالكليات وانتهى بالجزئيات والانواع التي أبرزها الانسان.

2 ــ أنه قد تضمن في الأخير أبوابا كثيرة، ليس من عادة المعجميين أن يدرجوها في مؤلفاتهم. فقد ذكر بعد (بابٌ من مَشْيِ النساء) أسماء المنجمات من نساء العرب، وعدّد منهن 21 امرأة منجمة، ثم أعقبها بذكر (الوفيّات لأزواجهن)، والنسوة اللائي كانت إحداهن إذا أصبحت عند زوجها كان أمرها اليها، وبعض خلق الانبياء والخلفاء من الصحابة وخلفاء بني أمية .. ثم ذكر بعد ذلك (شيئا من كلام العرب في أوصاف الرجال والنساء، وما يستحسن من أخلاقها وخلقهم، ويستقبح) وقد نقل في هذا الباب الاخير أغلب القصص والاخبار التي أوردها

---

(118) في الأصل : وصفاتها

شيخه أبو علي القالي في أماليه مما يتعلق بهذا الموضوع، وهي كلها قصص رواها القالي عن أبي بكر بن دريد أو ابي بكر ابن الانباري، ويغلب عليها الطابع التعليمي، وذلك مثل قصة البنات اللائي طُلب منهن وصف ما يحببن من الرجال، أو وصف ما يُردن من الأزواج، وقصة الأعرابية التي تُوصي ولدها وهو على أهبة السفر، وقصة معاوية الذي طلب من أحدهم أن يصف له الناس.. وقد شغلت هذه النقول والاخبار التي استقاها أبو عبد الله من شيخه البغدادي، صفحات عديدة من هذا السفر (من صفحة 243 الى صفحة 310). ولما كان القالي من عادته إذا أورد نصا غريبا في أماليه عمد في الختام الى شرح مفرداته وغريبه، وجدنا المؤلف هو الآخر يأتي بهذا الشرح نفسه ويثبته في كتابه عقب كل قصة أو خبر يحتوي على شيء من الغريب.

وكل هذا يعطينا فكرة عن الجوانب الاضافية التي تناولها، مما لا يدخل عادة في صلب المعاجم ولو كانت خاصة بالمعاني، من ذكر القصص الطوال، والأخبار والحكايات، والأيام والتواريخ. فذلك إذن من أسباب تضخم الكتاب الذي قيل إنه كان يبلغ مئة أو أربعين جزءا.

3 ــ وقد اهتم المؤلف بالنقل عن كثير من العلماء دون ذكر أسماء مؤلفاتهم في أغلب الاحوال. فممن نقل عنهم : أبو علي القالي، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والكسائي، والأصمعي، والخليل، وابن كيسان، وأبو زيد، وأبو عمرو الشيباني، وأبو حاتم، وابن الاعرابي، واليزيدي، وثعلب، وابن السكيت، وابن دريد، وسيبويه. والسيرافي، وابن جني، ويونس بن حبيب، والأموي وغيرهم. ثم هو بعد ذلك قد حلى كتابه بأشعار الأعلام والأعراب، وضمنه أصنافا أخرى من الاستشهادات المختلفة، بل إنه قد يضطر أحيانا للاتيان بأقوال الفلاسفة والقدماء إذا هو تعرض لموضوع يحتاج اليها. فقد قال بعد ذكر أسماء النفس وقبل الشروع في شرحها :

« ..قال أبو عبد الله : قد تكلم أناس في ماهية النفس واختلفت أقوالهم وطالت مخاصمتهم، ولم نذهب في كتابنا هذا مذهب أهل الكلام والاخبار عن خواص الاشياء، وإنما قصدنا تفسير اللغات، وما يتعلق بكلام العرب، ولولا ذلك لأتينا من أقوالهم بجملة تربي على أحسن ما ذكروه، وأقرب ما فسروه، ولكننا نقدم

ما أتى عن العرب في النفس على نحو ما له آلفنا هذا الكتاب، ثم نذكر شيئا مما ذكره الأوائل، ليقف عليه من قرأ كتابنا هذا ويطلع به على ما قالته»[119].

4 ـــ واذا تبث أن الكتاب من تأليف محمد بن أبان وثبت معه أن صاحبه توفي سنة 354 هـ كما يذهب ابن الفرضي في (تاريخ علماء الاندلس) ومن نقل عنه أو تابعه من المتأخرين، وهم : السيوطي، وياقوت، والصفدي[120]، فسيكون كتاب (السماء والعالم) هو أول معجم لغوي شامل ظهر ببلاد الاندلس، وليس هو كتاب البارع لابي علي القالي، وذلك بغض النظر عن الاختلاف الشاسع بينهما منهجا واتجاها ومضمونا، وعن تجاوز الدقة في إطلاق لفظ (المعجم). غير أني أشك في ضبط المؤرخين لوفاة محمد أبان، لان الذي يطالع السفر الموجود من كتابه، سيجد فيه نقولا عن علماء تأخرت وفاتهم كثيرا عن وفاة صاحبنا، مثل السيرافي المتوفىَّ سنة 368 هـ، وأبي علي الفارسي المتوفىَّ سنة 377 هـ، وابن جني المتوفى سنة 392 هـ. فاذا أمكن أن نتغاضى عن الرجلين الاولين فإنه ليس من السهل التغاضي عن ابن جني الذي مات بعده بثمانية وثلاثين عاما، مع العلم أن تأليف مثل هذا الكتاب الضخم الذي كان في مجلدات عديدة، ـــ بلغت عند بعضهم مئة، وعند آخرين أربعين ـــ قد يتطلب مدة تقدر بالأعوام الطوال أيضا. فإذا أضيف ذلك الى الفارق بين وفاتي الرجلين، كان من الصعب تقبل ما يذكره مترجمو ابن أبان عن وفاته. اللهم إذا افترضنا أن النقول التي وردت عن أمثال هؤلاء المتأخرين قد أقحمت على النص الأصلي للكتاب .

5 ـــ وحين نريد مقارنة كتاب ابن أبان بكتاب ابن سيدة، تكون أول عقبة تعترض سبيلنا هي ضياع أكثر أجزاء الكتاب الأول، ولكن هذا لا يمنع من عقد مقارنة جزئية بين السفر الثالث من كتاب السماء، والمجلد الأول من كتاب المخصص، لاشتراكهما في المادة والموضوع. وسنلاحظ منذ البداية أن بينهما نقطا كثيرة للالتقاء وأخرى للاختلاف والمفارقة.

فإن مما يجمع بينهما الموضوع والهدف الواحد، وهو التأليف حسب المعاني والتبويب على الموضوعات المختلفة، فلذلك نجد بينهما شبها كبيرا في الأشياء التي

---

(119) كتاب السماء والعالم ـــ السفر الثالث ص 18.

(120) انظر تاريخ علماء الاندلس 69/2 والوعاة : ص 4 ـــ ومعجم الأدباء : 117/17 والوافي بالوفيات 334/1.

يتناولانها، واتفاقا في العناوين التي يضعانها في مقدمة الابواب والفصول : فيقول ابن أبان مثلا : (باب ما يقال في وسط الانسان ـــ النعوت المستحسنة في البطون ـــ وما يوصف به في الاستقباح..) ويقول ابن سيدة مثله : (أسماء وسط الانسان ـــ محاسن البطون ـــ باب ما ذكر من قبح البطون..) بنفس الترتيب. ولكنهما يختلفان بعد ذلك في طريقة التبويب والتنظيم، فيقدم الأول ما يراه الثاني واجب التأخير، ويُجمل هذا في الباب الواحد ما يوزعه الآخر على فصول وأبواب شتى، ويأتي الثاني ببعض ما فات الأول .. وهكذا. وربما كان ابن سيدة أدق تنظيما وأحكم تنسيقا من صاحبه ابن أبان، لانه قسم معجمه الى كتب للموضوعات الكبرى، (كتاب خلق الانسان ـــ كتاب النساء ـــ كتاب اللباس) وفرّع عن كل كتاب أبوابا، ثم جعل لكل باب عدة فصول وعناوين تندرج تحته، معتمدا في ذلك كله على التجانس والتوافق بين الموضوعات، بحيث يقودك ذكر الموضوع الاول الى ما يتصل به ـــ بسبب من الأسباب ـــ من الموضوعات الثانية والثالثة .. أما ابن أبان، فقد اكتفى ـــ حسبما يبدو من السفر الموجود ـــ بتقسيم المعجم الى أبواب فقط، وربما أدرج تحت الباب بعض العناوين القليلة.

ومما يتفق فيه الكتابان غالبا : المادة اللغوية المشتركة، على ما قد يوجد بينهما أحيانا من اختلاف بسيط مرده الى شيء من الاضافة أو الاختصار. على أن مما يميز طريقة ابن أبان في عرض مادته، أنه بعد ذكر العنوان يأتي مباشرة بالألفاظ اللغوية التي يشملها الموضوع مجملة دون شرح، ثم بعد ذلك ينتقل في الخطوة الثانية الى شرحها واحدة فواحدة، أما ابن سيدة فهو حين يورد اللفظ الاول يشرحه مباشرة لينتقل منه الى ما يتبعه، وهكذا حتى يأتي على كل ما تضمنه الباب من الكلمات المفردة. فالاول اذن صاحب طريقة تجمع بين التفصيل والاجمال، وأما الثاني فليس له الا التفصيل وحده مراعاة للاختصار وتفاديا للتكرار. هذا فضلا عن ميل محمد بن أبان الى بسط العبارة أحيانا، بينما يميل صاحبه الى الاقتضاب والتركيز، ولذلك ألغى من حسابه تلك الفصول الطويلة التي أقحمها الآخر في كتابه مما لا صلة له بالمعجم، كالقصص والاخبار والروايات، مع اعتناء خاص بالتصاريف والأبنية والمصطلحات المنطقية.

ولكي نتمثل الصلة الوطيدة بين الكتابين، ونلمح ما بينهما من شبه كبير في المادة اللغوية، نورد من كليهما نصا يكون شاهدا على بعض ما قلناه :

أ) قال محمد بن أبان في فصل بعنوان : (ومن صفات الرُكَب) ص 14.

«.. ومن صفات الرُكَب : الصَّكّا، والقسْطاء، والطّرقاء، والصّدفاء، والفتْخاء، والطّفحاء.

قال :**الصّكاء** هي التي تصُك صاحبتها عند المشي، يقال رجل أصّكُّ : بَيِّنُ الصَّكَكَ، وقد صكَّ الرجل يَصَكُّ صَكَكاً، وقد صككت يا رجل.

ومنها **القَسْطاءُ** : وهي التي يَبست وغَلُظتْ حتى لا تكاد تَنْقَبِض من يُبسها. يقال : رجل أقْسَطُ، فهو مُقسِط : بيِّن القَسَط، وأكثر ما يقال في البهائم، يقال : فرس أقْسط، والاسم القَسَط.

ومنها **الطّرْقاءُ** : وهي التي لان مَأْبِضاها [121] وانفتحت حتى كادت رِكبتها تغيب في مفصلها واسترخى لذلك خطُوُها، يقال : رجلٌ أطرقُ : بيِّنُ الطَّرَق.

والفَتَخُ : يكون [في] [122] مأبِض الركبة ومأْبِض الذراع، وهولينُ المفاصل، وخروج بطنها إذا قام الانسان ، وكذلك هو في المَرْفِق.

ومنها : **الصّدْفاء** : وهو اقبال إحدى الركبتين على الأخرى حتى تكادا تماسان. يقال : رجل أصْدف وامرأة صدفاء.

ومنها **الطّفحاء** :يقال : ركبة الرجل طافحةٌ أي يابسة [لا يقدر صاحبها أن يقبضها و].[123] قد طَفَحت أي : يبست والأرْكَبُ : العظيم الركبة » اهـ.

ب) وقال ابن سيدة في فصل بعنوان : (صفات الركبة) ـــ المجلد الأول السفر الثاني ص 51 ـــ 52 :

«.. ثابت : من الركب : **الصّكاء** : بَيِّنة الصّكَكِ، وهي التي تصك صاحبتها عند المَشْي، رجل أصكّ. أبو عبيد : اذا اصطكت الركبتان قيل : صَكَّ يَصَكُّ صَكَكا.

---

(121) هكذا في الأصل وفي المخصص : (مأبضها).

(122) في الاصل : (والفتخ تكون مابض..) وهو تصحيف، تصحيحه من المخصص.

(123) هذه العبارة غير واضحة بالأصل، وهي مأخوذة من المخصص

ثابت : ومنها : **الطّرقاء** : وهي التي لان مأبِضُها وانفتحتْ حتى كادت ركبتُها تغيب في مفصِلها، واسترخى بذلك خطوُها. رجل أطْرَق وامرأة طرقاء. أبو عبيد : فيه طَرَقٌ وطريقة، أي ضَعْف واسترخاء، قال : وقد تستعمل في الإبل.

ثابت : **والفَتَخ** في مأبض الركبة، ومأبِض الذراع، وهو لِين المفاصل وخروج بطنها إذا قام الانسان، وكذلك هو في المَرْفِق وأنشد :

لكنْ كبيرُ بنُ هندٍ يوم ذلكمُ
فُتْخُ الشمائل في أيْمانِهِمْ رَوَحُ

ورجل أفتخ، وامرأة فتخاء.

ومن الركب : **القسْطاءُ** : وهي التي يَبست وغلظت حتى لاتكاد تنقبض من يُبسها. رجل أقسط : بيّن القسط، وأكثر ما يقال في البهائم.

ومنها : **الصّدفاء** : وهي إقبال إحدى الركبتين على الأخرى حتى تكادا تماسّان. رجل أصدفُ وامرأة بيّنة الصّدف.

ومن الرّكب **الطّفحاء** : يقال : ركبة طافحة أي يابسة لا يقدر صاحبها أن يقبضها، وقد طفحت.

ابن دريد : **الفحَج** في الانسان : تباعد الركبتين، وفي ذوات الأربع تباعد العرقوبين. دابّة أفْحجُ [124].

صاحب العين : **الرّصَع** : تقارب ما بين الركبتين.

وكذا **اللّصَص** : وقد تقدم في الأضراس والفخدين.) اهـ.

فالنصان معا يشتركان في المادة والعبارة، ولو صرح الثاني بمصادره، وأهملها الاول. على أن ابن سيدة قد أضاف لما ذكره صاحبه من أسماء الركبة وأوصافها ثلاثة ألفاظ لم يوردها الآخر، وبيت شعر لم يستشهد به. وهما مع اشتراكهما في هذه المادة لدرجة كبيرة، يختلفان قليلا في طريقة عرضها كما ذكرنا سابقا.

---

(124) في الاصل المطبوع : أفج — ولا شك أنه تصحيف.

وبعد : فهل تدل هذه العلاقة التي لمسناها بين الكتابين، على أن ابن سيدة قد اتصل بكتاب السماء والعالم وأفاد منه في كتابه..

الحق أننا لا نجد من المؤرخين القدامى من يشهد لنا بذلك، وليس كتاب ابن أبان معدودا ضمن مصادر ومراجع ابن سيدة التي وصلت الينا مثبتة في مقدمة المخصص [125]، وليس في الأعلام الذين نقل عنهم ذكر وارد لابن أبان. ومع هذا فنحن لا يسهل علينا أن نصدق أن ابن سيدة الاندلسي الذي عاش في القرن الخامس وألف كتابا له شبه كبير بكتاب أندلسي آخر عاش في القرن الرابع، ورجع الى قائمة طويلة من الكتب اللغوية والادبية المعروفة والمجهولة، وافتخر بها مستدلا على سعة اطلاعه وقيمة كتابه، لا يسهل علينا أن نصدق أنه لم يرجع الى ذلك الكتاب السابق له، على قرب العهد والزمان به. وليس يقنعنا أن يقال إنه لم يثبته في جملة مراجعه، أو أنه لم يشر الى صاحبه ضمن العلماء الذين نقل عنهم، فان مثل هذه الحال، من إغفال بعض المصادر لسبب من الاسباب، ليست حالا غريبة ولا مستطرفة.

وكيف نعجب من ذلك ولا نعجب من إهمال ابن سيدة أيضا ذكر بعض مصادره التي اعتمدها اعتمادا أساسيا في كتابه (المحكم) ومنها : (البارع في اللغة) لشيخ مشايخه أبي علي القالي ؟. لقد كان هذا الرجل — مع قدره الجليل — ذا نفسية معقدة، وكان معتدا بنفسه الى أبعد الحدود، حتى لم يكترث بواحد من سابقيه الى صناعة اللغة بالاندلس الا أبا علي القالي — كما يقول المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور [126] — ومع ذلك فقد أهمل الاشارة الى البارع الذي استفاد منه، واستقى أكثر ما فيه من الصيغ والمعاني [127] بل لقد أفاد أيضا من مختصر الزبيدي، والزبيدي أستاذ والده اسماعيل الذي أخذ عنه أكثر الأصول اللغوية، واقتبس منه ترتيب الابواب، وأخذ منهجه فطبقه على كتابه بتوسع، ثم لم يجعله من مصادره ومراجعه.

---

(125) من الانصاف ان ننبه الى أن القائمة التي ذكرها ابن سيدة في مقدمة كتابه متضمنة مصادره ومراجعه، لم تعرف علينا كاملة، اذ لحقها التلف في مواضع كثيرة، مما حمل ناشري الكتاب على ترك أماكنها بيضاء كما كانت في الأصل.

(126) انظر مقالته حول السند التونسي في علم متن اللغة بمجلة المجمع القاهري ج 19 سنة 1965 ص 13.

(127) انظر المعجم العربي لحسين نصار : 386/1.

لقد وجدنا إذن تشابها كبيرا بين (السماء والعالم) و (المخصص) لم يقف عند العناوين والمواضيع، بل تعداها الى المواد المشتركة في كثير من الاحيان، مع ما قد يختص به ابن سيدة من زيادة واستيعاب لتأخره واستفادته من جهود السابقين، أو ما قد يوجد عند ابن أبان من أشياء عمد ابن سيدة الى حذفها أو وضعها في مكانها المناسب. وهذا الامر لابد أن يدل على وجود صلة وطيدة من التأثر بين الكتابين، ولا بد أن يكون المتأثر هو ابن سيدة لتأخره وقرب زمانه ومكانه من سابقه، رغم ما قد يقال من أن ابن سيدة إنما عاد الى نفس المصادر التي نقل منها ابن أبان فظهر لذلك هذا التشابه القوي الذي لمسناه.

وختاما، فانه قد آن الأوان ليحتل كتاب السماء مكانته بين معاجم الموضوعات والمعاني، ويأخذ ترتيبه التاريخي، فلم يعد هناك مجال لقول بعض الدارسين المحدثين : إن معجم ابن سيدة هو أول معجم موضوعي يؤلف في الغرب الاسلامي.

3 ــ 2 ــ المخصص

كتاب (المخصص) هو المعجم الثاني لابن سيدة. وقد خالف به طريقة معجمه الأول : (المحكم) الذي ذكرناه عند دراسة اتجاه العين، وأفاد فيه من الجهود السابقة في الموضوع، وأقصد بها تلك الكتب المبوبة حسب الموضوعات كغريب أبي عبيد، وفقه الثعالبي، وألفاظ ابن السكيت، وأمثالها، وتلك الرسائل الصغرى التي تخصصت في موضوعات محددة والتي قلنا سابقا إنها كانت نواة معاجم المعاني. كما استفاد من سائر الجهود اللغوية في مختلف اتجاهات المعاجم الاخرى أندلسية كانت أم شرقية. وقد ظهرت نتيجة استيعابه للمؤلفات والآثار السابقة في تضخم حجم الكتاب الذي رأينا أنه طبع في 17 مجلدا، فكان بذلك أضخم من كل كتاب سابق له في الموضوع، إذا استثنينا كتاب السماء والعالم. كما كان أحسنها تنظيما على الاطلاق بكثرة ما أدخله من التفريعات والتقسيمات. إلا أن معجم المعاني كما استقر على يد ابن سيدة، ظل مع ذلك في حاجة واضحة الى خطوة أخرى لم يقم بها أحد من اللغويين القدامى، وهي مرحلة كان من المفروض أن يتطور فيها الى مدونات تكتمل لها سائر مقومات المعجم المحكم الترتيب السهل

التناول، كما هو شأن المعاجم الاوربية ذات الاتجاه نفسه.

وعلى كل حال فقد توقف معجم المعاني العربي عند حصر ابن سيدة، كما توقف التأليف في المعاجم الموضوعة على طريقة العين على يده مرة أخرى.

ولما كان كتاب (المخصص) قد نال حظه الوافر من الدراسة على يد كثير من الباحثين، فقد رأينا أن ذلك يغنينا عن دراسته دراسة جديدة [128].

(128) انظر من الدراسات التي كتبت حول المخصص : ـ (المخصص ـ دراسة ـ دليل) لمحمد الطالبي ـ تونس 1956 ـ وكتاب (ابن سيدة المرسي لداريوكبا نيلاس تعريب الاستاذ حسن الوراكلي نشر مسلسلا بمجلة (المناهل) المغربية بالاعداد السبعة الاولى. ثم طبع بعد ذلك مجموعا بتونس، وذلك فضلا عما كتبه حسين نصار في (المعجم العربي) وألبير مطلق في الحركة اللغوية بالاندلس وغيرهما.

4 ـــ في اتجـاه خـاص

أما هذا النوع الفريد من صور المعجم الذي وُجد بالاندلس ، فهو الذي يتمثل في كتاب : (المسلسل في غريب لغة العرب) من تأليف أبي طاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي المتوفي سنة 538 هـ [129]. وأقول إنه فريد لانه لا يخضع لأية مدرسة من مدارس المعجمات العربية المعروفة التي تحدثنا عنها سابقا، ولكنه يُكوّن مع كتابين آخرين عرفا بالمشرق العربي، حلقة أو قل صورة جديدة من صور تدوين اللغة وترتيبها : أولها : (كتاب المُداخَل) بفتح الخاء وضم الميم، لأبي عمر المطرز (ت 345) المعروف بغلام ثعلب، وهو من أساتذة القالي في اللغة والادب. وثانيهما لابي الطيب اللغوي (ت 351 هـ) وهو المعروف بكتاب (شجر الدر). والكتابان معا مطبوعان.

والطريقة التي ينفرد بها هذا النوع، هي عدم إخضاع مفردات اللغة لأي ترتيب سوى ما يدعو اليه (التسلسل) بين معاني الالفاظ أو (التشاجر) و (التداخل) الذي يعني أن يجر ذكر الكلمة الاولى الى ذكر الثانية، والثانية الى الثالثة، والثالثة الى الرابعة... وهكذا تنتظم الالفاظ في سلسلة متشابكة، متشاجرة يأخذ بعضها بعنق بعض. ولعل أهم ما تتميز به هذه الكتب الثلاثة التي انفردت وحدها في تاريخ مدونات اللغة العربية بهذا النظام، هو الصعوبة المطلقة التي تحول دون التوصل الى اللفظ المراد. وهذا ما يبعدها عن تحقيق هدف المعجم كما نفهمه في العصر الحديث، الذي هو بالاساس تقديم جواب سريع عن حاجة يطلبها الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية والمعرفية. ولا يتم ذلك الا بشكل منظم

---

129) نشرت الكتاب وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر سنة 1957 بتحقيق الاستاذ محمد عبد الجواد

دقيق الترتيب سهل الاستعمال. أما هذا النوع من المسلسل أو المتداخل، فان الصدفة وحدها ــ حتى بالنسبة لذوي الثقافة المتخصصة والمتعمقة ــ هي التي تقدم لك الجواب. ولكن اذا نحن تركنا هذا المعيار جانبا، وأردنا أن نبحث فقط عن الأشكال التي تطور اليها المعجم العربي، فسنجد بالطبع، أن هذه الكتب الثلاثة تعتبر من المدونات اللغوية التي جمعت فيها الالفاظ، ودونت حسب نظام خاص، ولمعجمنا الحديث والمعاصر أن يستفيد منها ولو في إطار إعداد بنك للكلمات والمصطلحات، لتكون مادة تستغل في صناعة معاجم جديدة، ولاسيما أنه بالامكان إعادة ترتيبها وفق المقاييس الجديدة التي نرتضيها، كما صنع بكتاب (المخصص) نفسه [130].

وكتاب (المسلسل) في حد ذاته، وإن كان يشترك مع الكتابين الآخرين في الخاصية العامة التي هي طريقة عرض المواد اللغوية وذلك بجمع الكلمات تحت عدد معين من الابواب، ثم البدء بكلمة تكون هي المفتاح أو الأصل لكل باب، وعنها تتسلسل بقية الكلمات، دون أن يكون هناك شيء يميز الباب الواحد عن بقية الابواب، بحيث ليس هناك موضوع مشترك بين ألفاظ الباب على حد ما هو موجود في المعاجم المبوبة، أقول : إنه مع ذلك يوجد لكتاب (المسلسل) للتميمي بعض ما يستقل به ويميزه، ولو أن ذلك يتعلق بأمور ثانوية لا أساسية. فالذي يقارن بين (شجر الدر) لابي الطيب و (المسلسل) للتميمي سيلاحظ بلا شك أن الأول منهما كان يمتاز عن الثاني بتصميم أدق. فكتاب أبي الطيب :

ــ ينقسم الى ستة أبواب.
ــ يسمى كل باب منها شجرة
ــ في كل شجرة من الشجرات الخمس الأولى مئة كلمة
ــ في كل شجرة من الشجرات الخمس الاولى 10 أبيات شعرية للاستشهاد.
ــ تنقسم كل شجرة من الشجرات الخمس الاولى الى عدد من الفروع بحسب تعدد معاني الكلمة ــ الاصل (مفتاح الباب).
ــ كل فرع من شجرة به 10 كلمات، وبيتان من الشعر.

(130) أشير هنا الى كتاب (الافصاح في فقه اللغة) الذي عمله الاستاذان عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، وهو عبارة عن ترتيب جديد لكتاب المخصص بحيث يسهل الانتفاع منه.

ـــ الشجرة السادسة تتميز بأنها لا فروع لها ولا شاهد من الشعر أو غيره، باستثناء بيت واحد ختم به الباب.

ـــ الشجرة السادسة وحدها بها 500 كلمة.

وهكذا يمكن بكل بساطة حساب ألفاظ الكتاب بأجمعه على النحو التالي :

1) الأبواب الخمسة الأولى	:	100 × 5 = 500	كلمة
2) الباب السادس	:	500 × 1 = 500	كلمة
3) فروع الباب الاول	:	10 × 5 = 50	كلمة
4) فروع الباب الثاني	:	10 × 12 = 120	كلمة
5) فروع الباب الثالث	:	10 × 10 = 100	كلمة
6) فروع الباب الرابع	:	10 × 8 = 80	كلمة
7) فروع الباب الخامس	:	10 × 4 = 40	كلمة
8) مجموع الفاظ الكتاب	....	= 1390	كلمة

ويمكن أيضا بالبساطة نفسها حساب مجموع أبيات الشعر المستشهد بها في الكتاب على هذا النحو :

1) أبيات الأبواب الخمسة الاولى	:	10 × 5 = 50
2) أبيات الباب السادس	:	1 × 1 = 1
3) أبيات فروع الابواب	:	2 × 39 = 78
المجمـــــــوع		= 129 بيت

فإذا نحن قارنا به كتاب **التميمي**، وجدناه عاريا من هذا النظام البديعي العددي الذي صمم (شجر الدر) على مقتضاه.

فقد اكتفى المصنف بأن اتبع الخطة التالية :

ـــ قسم الكتاب الى خمسين بابا.

ـــ عدد ألفاظ كل باب غير متواز ولا مضبوط.

ـــ كل باب له ما يشبه (المفتاح) وما يشبه (القفل)، وأعني بالمفتاح البيت أو البيتين الشعريين اللذين يفتتح بهما الباب، ومن هذا المفتاح تؤخذ الكلمة الأم

التي تتفرع عنها الكلمات وتسلسل، وأعني بالقفل ذلك البيت الواحد الذي يختم به كل باب، ويأتي لشرح آخر كلمة في مسلسل ذلك الباب والاستشهاد عليها. وهذه الطريقة لم يأخذ بها أبو الطيب اللغوي، وانما ابتدأ رأسا بذكر الكلمة ـــ الأم.

ـــ عدد الأبيات الشعرية المستشهد بها ـــ من غير المفتاح والقفل ـــ متفاوت.

ـــ تمتاز الابواب عادة بقصرها.

ولعل بساطة نظام التميمي ـــ أو قل سذاجته بالقياس الى نظام أبي الطيب ـــ على تأخره آتية من كونه لم يطلع على كتاب (شجر الدر) ـــ كما يعتقد الاستاذ محمد عبد الجواد ـــ وإنما اطلع على كتاب (المداخل) للمطرز. على أن أهم خاصية تميز هذه الكتب بعد هذا، هي شدة الاختصار في شرح الالفاظ، بحيث يقتصر في غالب الامر عند ذكر الكلمة على إيراد مرادفها. وهذا مثال من كتاب (المسلسل).

قال في بداية الباب الاول :

«أنشد أبو عبيد لصبيان الاعراب، وتروى لامرىء القيس بن حجر :

لمـــن زحلوقـــةٌ زُلُّ   بهـــا العينـــان تَنْهَـــلُّ
ينـــادي الآخرَ الأُلُّ   ألا حُلـــوا ، ألا حُلُّـــوا

ويروى : (ألا خلوا ، ألا خلوا)، ويروي : (زحلوفة) بالقاف والفاء والكاف.

ـــ الأُلُّ : الأول

ـــ أول : يوم الاحد

ـــ والاحـــد: هو الوَحَدُ

ـــ والوَحَـدُ: الفرد

ـــ والفَـرَدُ : الثَّوْرُ

ـــ والثـور : الظهور

ـــ والظهور: الغَلَبَة

ـــ والغلبة : جمع غالب

ـــ وغالــب : أبو لؤي. قال حسان بن ثابت :

عَقِيلَـــةُ حي من لؤي بن غالبِ كرامِ المســاعي، مَجدُهمْ غيرُ زائِلِ

ولــؤي : تصغير الّلأىَ

والّــلأى : الثــور

والثـور : فحل البقر

والبقــر : الفـــرق

والفَـــرَق : تباعد ما بين الثنايا

والثنايا : العِقَــابُ

والعقاب : المـــوالاة

والموالاة : المظاهرة

والمظاهرة : لبس ثوب على ثوب

والثـــوب : الرجــوع

والرجــوع : الكـــر...» اهـ.

..... وهكذا الى آخر الباب، وآخر الباب هو حيث ينتهي نفس المؤلف، ويقف به عنانه، وليس حيث تنتهي المعاني والألفاظ، لان ذلك لا ينقطع، فلو أن إنسانا تابع هذا التسلسل الذي تقتضيه المعاني، لما انتهى من تأليفه قط، ولاستمر به الحال الى ما لا نهاية.

وأما كتاب المطرز، فهو بالنسبة للتميمي، كتاب يعيبه الاقتضاب والارتجال، فلم يكن مستوفيا ولا مستقصيا، ولذلك عمد هو الى إتمام ذلك النقص، فكان كتابه بمثابة الصلة والذيل. قال في المقدمة : «وإنه كان فيما سمع عليَّ كتاب «المُداخَل» في اللغة لأبي عمر المطرز رحمه الله، فاستَنْزَرْتُه لقدره، ولم أحظ بهلاله فيه ولا بَدْرِهِ، فرأيت أنه رأيٌ لم يستوفَ بتمامه، وغرضٍ لم تُقرطَسه سهامه، ولعله إنما ارتجله ارتجالا، وجرتْ ركائبُه فيه عاجلا، فلم يُدَمِّثْ حَزْنَه، ولا أقام وزنه، ولا استوفى غرره، ولا استقصى درره، فاقْتَضَبها عجالة، ووفر دونها سِجالَه، فحركني ذلك الى صلة ما ابتدأ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ.».

5 ـــ نحو معجم متخصص

ما ألفه العرب من رسائل لغوية حسب الوضوعات كثير جدا. ولو أن ما وصل الينا منه قد أعيد ترتيب مواده حسب النظام المعجمي الحديث، حتى يسهل الانتفاع به بالنسبة لأصحاب الاختصاصات والعلوم المتنوعة، لكان لذلك فائدة جمة في إحداث المصطلحات الضرورية التي تواجه بها لغتنا العربية ما يستجد كل يوم في مجالات المعرفة. ذلك أن الرسائل المشار اليها قد ظل أغلبها عبارة عن مدونات لا ترتيب لها ولا نظام، بحيث يتعذر الحصول على اللفظ المطلوب بداخلها. ومع ان التأليف فيها لم يتوقف الا بعد قرون من انطلاقته، فانها لم تستطع أن ترقى جميعها الى درجة المعاجم المتخصصة، بالمعنى الدقيق للمعجم، وان كان بعضٌ منها قد عرف تطورا ملموسا. فقد تطورت بعض كتب الأبنية والصيغ العامة، كما نجد في (ديوان الادب) والخاصة كبعض كتب المقصور والممدود، والافعال، والاسماء، المثلثة. وتطورت أيضا كسب الغريبين القرآن والحديث، والمصنفات الخاصة بمفردات الادوية والاعشاب والصيدلة بصفة عامة ... ولو استمرت عصور الازدهار الثقافي عند العرب طويلا لاستمر أيضا تطور سائر الموضوعات الاخرى.

وأما الاندلسيون فقد أسهموا بحظ غير قليل في تطوير الانواع التي ذكرنا. وسنتحدث عن ثلاثة أصناف من مؤلفاتهم المتخصصة التي رأينا فيها طموحا نحو التنظيم المعجمي.

5 ـــ 1 ـــ نحو معاجم الابنية :

يمكن تصنيف ما عرفه الاندلسيون من كتب الأبنية والصيغ الى قسمين : قسم خاص بالأفعال وقسم خاص بالأسماء :

أ) كتب الأفعال

وقد كان أقدمها ظهورا بالاندلس هو كتاب (فعلت وأفعلت) للقالي، وهو يعتني خاصة بصيغتين من صيغ الافعال وهما : (فعل) و (أفعل) اللتين تردان بمعنى مختلف أو معنى متفق، وقد ضاع كتاب القالي فلا نعرف طريقة تأليفه. ومن المحتمل أن يكون ابن القوطية (ت 367 هـ) تلميذ القالي ومعاصره، قد استفاد منه في وضع كتابه الذي سماه (كتاب الافعال). وقد قسم ابن القوطية المادة التي جمعها وهي خاصة بصيغتي (فعل وأفعل) الى ثلاثة أقسام أساسية، (وهي : فعل وأفعل ـــ أفعل وحدها ـــ فعل وحدها) وكل قسم فرعه بدوره الى فروع، ثم عمد الى المواد التي بداخلها فرتبها ترتيبا صوتيا خاصا بعد أن حذف منها أسانيد الرواية وأسماء المصادر والشواهد إلا في القليل، فجاء كتابه مختصرا. وبعد ابن القوطية، نجد طائفة من الاندلسيين تؤلف في الافعال، وان ضاع بعضها. فقد ألف فيها كل من أبي عثمان سعيد بن محمد السرقسطي المعروف بابن الحداد المتوفى سنة 400 هـ، وأبي مروان عبد الملك ابن طريف (ت 400 هـ) وكلاهما من تلاميذ ابن القوطية، فعملا في كتابيهما على تهذيب وإكمال ما صنعه أستاذهما. ومنهم أيضا أبو منصور محمد بن علي الجياني الاصبهاني (من القرن الخامس)، وجمال الدين بن مالك النحوي، وابن هشام الخضراوي (من القرن السابع) [132] وأبو جعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي (ت 779 هـ) واسم كتابه : (اقتطاف الازاهر والتقاط الجواهر) نقل عنه ابن الطيب الشرقي الفاسي في إضاءة الراموس (52/2 من المطبوع).

على أن أهم ما عرفته المكتبة العربية من التآليف الخاصة بالأفعال وأكثرها شمولا واستيعابا كتابان هامان أولهما : (كتاب الأفعال) لابي القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي ثم المصري المعروف بابن القطاع (ت 515 هـ) وقد طبع

(132) انظر كشف الظنون 133/1.

في حيدر آباد سنة 1361 هـ(م132)، وثانيهما : (كتاب الافعال) لابي عثمان السرقسطي ــ السابق الذكر ــ الذي طبع بالقاهرة بتحقيق الدكتور حسين محمد شرف في خمسة أجزاء (صدر الجزء الاول سنة 1975 والخامس سنة 1980م). ومعلوم أن السرقسطي ــ ويعرف بابن الحداد أيضا ــ هو تلميذ لابن القوطية وأنه اعتمد في كتابه على كتاب أستاذه فأكمل ما فيه من نقص، ورتب ما كان من مواده في حاجة الى ترتيب، وزاد عليه ما فاته. وملأه بالشواهد من القرآن والحديث والشعر وكلام العرب. وهكذا توسع حيث أوجز ابن القوطية. على أنه من الامور التي قلده فيها استعمال الترتيب المخرجي وإن اختلفا في بعض جزئياته.

وقد لخص ابن الحداد صنيعه بكتاب أستاذه فقال في المقدمة :

«وأيضا فإنه إنما كان غرضه ــ رحمه الله ــ في هذا الكتاب : (فعلت وأفعلت) خاصة وترك ما جاوز ذلك من الافعال الرباعية الاصلية مثل : دحرج وسلهب وما جاوزها بالزيادة مثل : اقشعر واحرنجم ومثل احْمارَّ واشْهابَّ.

فلما رأيت الكتاب قد اختل من هذه الجهة، مع ما رأيت من فضله. وأنه قد بذَّ فيه الاولين والآخرين، أفردتُ له عنايتي وجعلت له حظا من نظري بعد تصحيح روايتي إياه على مؤلفه ــ رحمه الله ــ فتلا فيتُ ما اختل منه بإلحاقه وترداد ذكره، وبسط تفسيره. وألحقت فيه الأفعال التي ترك ذكرها من الرباعية وما

م132 ألف ابن القطَّاع الصقلي المصري كتابين : أولهما : (أبنية الأسماء والأفعال والمصادر) وثانيهما : (تهذيب كتاب الأفعال) لابن القوطية ، وهو هذا الذي طبع بالهند في ثلاثة أجزاء بعنوان (كتاب الأفعال) وقد انتقد في مقدمته ما صنعه ابن القوطية فقال : « وهذا الكتاب في غاية الجودة والاحسان لو كان ذا ترتيب وبيان ، ولكن لم يرتبه على الكمال. وقد اجتهدت في ترتيبه وتهذيبه بعد وسمته : (تهذيب كتاب الأفعال) لأنه أربى فيه على كل من ألف في معانيه إلا أنه لم يذكر فيه سوى الأفعال الثلاثية وما دخل عليها من الهمزة، ولم يستوعب ذلك، وترك نحوا مما ذكر، وخلط في التبويب، وقدم وأخر في الترتيب، وجعل الثلاثي باتفاق معنى في أبواب، وباختلاف معنى في أبواب والمتفق والمختلف منه في أبواب، فأتعب الناظر، وأنصب الخاطر، وصار الطالب للحرف يجده متفرقا في الكتاب في عدة أبواب. ولم يذكر فيه الأفعال الرباعية الصحيحة ولا الخماسية والسداسية المزيدة، ولا الثنائية المكررة. ».
وهكذا عمد ابن القطاع إلى إعادة ترتيب الكتاب والزيادة في أبوابه ومادته . فقسمه الى أبواب حسب حروف الأبجدية العربية بادئا بالهمزة فالباء فالتاء ..الخ. وقسم كل باب الى سبعة أقسام هي : 1) الثلاثي الصحيح مما جاء على فعل وأفعل باتفاق معنى أو غيره. 2) الثنائي المضاعف. 3) المهموز. 4) المعتل. 5)الثنائي المكرر. 6) الرباعي الصحيح. 7) الخماسي والسداسي. وتعتبر الاقسام الثلاثة الأخيرة جديدة لم يذكرها ابن القوطية . أما الأربعة الأولى فموجودة عنده الا أنها غير مرتبة. وأخيرا عمد الى كل قسم من الأقسام السبعة فرتب مداخله حسب الحرف الأول فقط، وكان ابن القوطية ــ كما هو معلوم ــ رتبها حسب المخارج الصوتية. ومما صنعه ابن القطاع أنه احتفظ بألفاظ ابن القوطية ومادته ورمز لها بحرف (ق) وجعل لما أضافه هو رمزا آخر هو حرف (ع).

جاوزها بالزيادة. وألحقت في كل باب منه مالم يذكره. إذ الاحاطة ممتنعة على البشر. ولخصت ما وقع منها في غير موضعه بنقله الى الموضع الذي هو أحق به ليخف على الدارس، ويسهل فيه وجدان لفظه على الطالب».

ولما كان (الافعال) للسرقسطي هو أهم كتاب أندلسي وصل الينا في الموضوع لشموله سائر أنواع الافعال دون التقيد بصيغة من صيغها، ولسلوكه فيه مسلك المعاجم من حيث ترتيب مادته . ولكونه أخيرا أغزر مادة من سابقيه ولاحقيه من الكتب الاندلسية المتخصصة في الافعال، رأينا أنه من الضروري التوقف عنده قليلا لاستخلاص بعض ما يتميز به من الخصائص المنهجية والموضوعية التي نوردها في النقط التالية :

1 ـــ لقد وزع السرقسطي مواد معجمه على ثمانية وعشرين حرفا بعدد حروف الأبجدية العربية.

2 ـــ رتب هذه الحروف فيما بينها حسب المخارج الصوتية متبعا في ذلك طريقة سيبويه التي مر ذكرها مع مخالفة بسيطة.

3 ـــ رتب المواد داخل كل حرف حسب أربعة عناوين :

أ) فعل وأفعل باتفاق معنى
ب) فعل وأفعل باختلاف معنى
ج) الثلاثي المفرد
د) الرباعي المفرد وما جاوزه بالزيادة.

وهكذا تضمنت العناوين الثلاثة الاولى مواد الافعال الثلاثية، وتضمن العنوان الرابع مواد الافعال التي تزيد على ثلاثة أحرف.

4 ـــ فرّع كل عنوان من عناوين الثلاثي (أ ـــ ب ـــ ج) الى أربعة أقسام هي :

أ) الثنائي المضاعف
ب) الثلاثي الصحيح
ج) الثلاثي المهموز
د) الثلاثي المعتل

5 ـــ وزع بعد ذلك مواد كل قسم من هذه الاقسام الاربعة الاخيرة ـــ باستثناء المضاعف ـــ على الصيغ المختلفة متدرجا من الفعل المفتوح العين الى المضموم فالمكسور.

6 ـــ أما الرباعي وما زاد عليه، فقد قسمه إلى مجموعة من الأبنية (أو الصيغ) :

ـــ أفْعَل المضاعف (مثل : أرَنَّ)
ـــ فعَّل (مثل : هَشَّمَ)
ـــ فَعْلَل (مثل : حَصْرَم)
ـــ فَوْعَل (مثل : حَوْقَل)
ـــ فاعَل (مثل : هانَف)
ـــ تفاعَل (مثل : تهالك)
...الخ

7 ـــ قسم بعد ذلك كل صيغة من هذه الصيغ إلى : مضاعف ، وصحيح، ومكرر ، ومهموز، ومعتل ... وربما لجأ أيضا إلى هذه الأقسام ففرع عنها أشياء أخرى .

وهكذا يتضح أن بنية الكتاب معقدة جدا . كثيرة التفريع والتقسيم يصعب ضبطها وتحديدها .

8 ـــ يقصد السرقسطي بالثلاثي المفرد. الفعل الذي جاء على صيغة (فعل) فانفرد بهذه الصيغة بحيث لم تأت منه صيغة (أفعل) فيكون متفقا معها في المعنى أو مختلفا وذلك مثل : (أزح ـــ أبن ـــ أمت ـــ ...الخ) فإنك لن تجد منها صيغة (أفعل) إذ لم يقل (آزح ـــ آبن ـــ آمت ...الخ).

9 ـــ ويقصد بالرباعي المفرد الفعل الذي جاء على صيغة من صيغ الرباعي منفردا فلم ترد من مادته صيغة ثلاثية فتختلف أو تتفق معه في المعنى وذلك مثل : (آنت ـــ آشى ـــ أحضب ـــ خزعل ـــ خندف ـــ خلل ...الخ) فلا يقال منها : (أنت ـــ حضب) وما أشبه.

ملاحظـات على كتاب ابن الحداد

1 ـــ رتب ابن الحداد مواد كتابه حسب المخارج كما سبق الالماع لذلك. غير أنه لم يراع بعد الحرف الاول أي ترتيب. فلم يلتفت الى الحرف الثاني وما بعده، مما جعل العثور على المادة المطلوبة أمرا عسيرا. وكمثال على ذلك فإنه رتب الافعال الواردة في حرف الهمزة من الثلاثي الصحيح ـــ باب الثلاثي المفرد ـــ التي على صيغة (فَعَل) على النحو التالي :

أزح	أفل	أفخ	أبز—أفز	أمص
ألت	أبل	أحد	أزق	
أزب	أمل	أفق	أقط	
أبن	أتل	أبق	أنت	
أمت	أتن	أرز	أجز	
أبس	أخ	أكر	ألز	
أطر	أنه	أبض	أبص	
أبر	ألك	أبت	أبث	

2 ـــ رغم محاولة السرقسطي أن يكون معجمه أشمل المعاجم وأكثرها استيعابا بحيث أتى على ذكر ما يزيد على ستة آلاف فعل (من الثلاثي والرباعي وما بعدهما)، فإنه لم يستطع أن يضمنه سائر أفعال العربية، فقد ساقت المعاجم الاخرى الشاملة كثيرا من الافعال التي أهملها أو زعم أنها غير موجودة. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه وضع الافعال التالية في باب الرباعي المفرد من حرف الهمزة وذلك يعني أنها لم ترد منها صيغة ثلاثية وهي : (آلت آلف ـــ آجد ـــ آز ـــ أتأر) ولكن المعاجم الاخرى ذكرت لكل هذه الافعال صيغا ثلاثية على وزن (فعل) إذ ورد فيها (ألت ـــ ألف ـــ أجد ـــ أزر ـــ وتأر).

ومثال آخر أنه أهمل من أبواب المعتل من الثلاثي (حرف العين) الأفعال التالية :

(عوز ـــ عبا ـــ عرا ـــ عاه ...) وهي واردة في المعاجم.

3 ـــ كان المفروض في معجم السرقسطي نظرا لكثرة تفريعاته وتشعبها أن يتجنب الاضطراب والخلط الذي تقع فيه المعاجم الاخرى، غير أن ما نلمسه في الحقيقة عكس ذلك. فقد كانت هذه التفريعات الكثيرة مدعاة لارتباك المؤلف حين أراد تطبيق ذلك المخطط المتشابك ومَلْ ء سائر خاناته. وهذا مثال قوي يجسد ارتباك المؤلف :

فأنت إذا حاولت البحث عن الأفعال الثلاثية التي تبتدىء بحرف العين والتي اعتلت عينها أو لامها فإنك ستجدها ممزقة الشمل على النحو التالي :

أ) فقد ذُكر قسم منها في أبواب المعتل من الثلاثي المفرد تضمن 18 فعلا : وهي :

عاق ـــ عاث ـــ عاش ـــ عاب ـــ عاك ـــ عاط ـــ عاس ـــ عظي ـــ عوج ـــ عتا ـــ عوى ـــ عمي ـــ عكي ـــ عصي ـــ عزا ـــ عثي ـــ عسى ـــ عنى.

ب) وذُكر قسم آخر في أبواب المعتل من (فعل وأفعل باختلاف المعنى) ويتضمن 14 فعلا وهي :

عاد ـــ عاف ـــ عال ـــ عام ـــ عار ـــ عين ـــ عدا ـــ عطا ـــ عجا ـــ عقا ـــ عرى ـــ علا ـــ (على) ـــ عشي (عشا).

ج) ونجد القسم الثالث الذي يتضمن فعلين هما (عاض ـــ عاذ) في المعتل من (فعل وأفعل باتفاق المعنى) وذلك بجانب أفعال أخرى سبق ذكرها في المعتل من (فعل وأفعل باختلاف المعنى).

وهي : (عار ـــ عاد ـــ عان ـــ عفا ـــ علا) وهكذا فقد تكرر ذكر هذه الافعال الاربعة الاخيرة مرتين.

د) والأغرب من هذا التكرار هو أن تجد القسم الرابع من تلك الافعال واردا عنده في باب الثلاثي الصحيح من (فعل وأفعل باختلاف معنى) ويتعلق الامر بفعلين هما : (عيي ـــ عوص) مع أنهما من المعتل لا من الصحيح.

هـ) وفضلا عن هذاالتمزيق والخلط في ترتيب هذه الطائفة المذكورة من

الأفعال نجد المؤلف يضرب صفحا عن ذكر أفعال أخرى من الصنف نفسه. وهكذا فقد أهمل كما سبقت الاشارة (عوز ــ عاه ــ عبا ــ عذا ــ عرا) وهي أفعال مذكورة في غير هذا المعجم.

4 ــ مفهوم الرباعي عند ابن الحداد مخالف لما عند غيره من الصرفيين والمعجميين على السواء. فهو عنده يشتمل على الصيغ التالية :

أ) (أفعل) ومثاله عنده : أرنَّ ــ أرغد ــ أرقل ــ أرجأ ..

ب) فعْلل مثل : (رعبل رأبل ...)

ج) (فعَّل) مضاعف مثل : رهّب ــ رقّن ــ رمّل

د) (فاعل) مثل : ساوى

هـ) (فَعْوَل) مثل : سرْوك

د) (فيْعل) مثل : سيطر

و) (فوْعل) مثل عوهق

هذا في حين لا نجد الصرفيين يذكرون من صيغ الفعل الرباعي المجرد سوى صيغة واحدة هي (فعلل) وكل ما ذكره ابن الحداد في هذا الكتاب على أنه رباعي فيما عدا (فعلل) لا يعتبر رباعيا في نظرهم، ولكنه مُوازِن له.

غير أن ما يستغرب له بعد ذلك. هو أن يوزع السرقسطي الافعال الواردة على صيغة (أفعل) على مكانين :

أ) فالطائفة الكبرى من هذه الافعال ذكرت عنده في أبواب الثلاثي الاربعة : (الثنائي المضاعف ــ الصحيح ــ المهموز ــ المعتل) تحت عنوان (فعل وأفعل باتفاق معنى) أو عنوان (فعل وأفعل باختلاف معنى).

ب) أما الطائفة القليلة. فهي التي ذكرت عنده في أبواب الرباعي المفرد.

ولقد خطر في ذهني أن يكون المؤلف بهذا قد أحب أن يُلمِّح الى أن الافعال العربية التي على صيغة (أفعل) تنقسم الى قسمين : قسم يمكن ان نعتبره من باب الثلاثي المزيد مادمنا نجد من مادته صيغة فعلية ثلاثية هي (فعل) تكون الهمزة فيه إذ ذاك حرف زيادة.

وقسم منه يجب اعتباره رباعيا أصليا ليست الهمزة فيه مزيدة شأنه في ذلك شأن (دحرج) و (عسكر) بدليل أننا لا نجد له صيغة فعلية ثلاثية من مادته. فلا نجد لفعل (أنَث ـــ وأحثل ـــ وأحضب) وأشباهها فعلا ثلاثيا من المادة نفسها. وعلى ذلك تكون الهمزة أصلية.

ربما كان ذلك هو ما أراده المؤلف خلافا للصرفيين. إلا أن هذا الاحتمال العقلي يضعف إذا عرفنا من جهة أن عدم احتفاظ المعاجم بالصيغ الثلاثية لهذه الافعال لا يعني أنها لم توجد أصلا، فربما وجدت ثم وقع إهمالها. وعرفنا من جهة أخرى أن كثيرا من الأفعال التي جاء بها السرقسطي في أبواب الرباعي المفرد ملمحا بذلك الى انفرادها بتلك الصيغة توجد لها صيغ ثلاثية. وأقرب مثال على هذا جملة الأفعال التالية : (أعوز ـــ أحب ـــ آصد ـــ آلف ـــ أثأر) فكلها ذكرت صيغها الثلاثية في المعاجم.

5 ـــ وأخطر ظاهرة سلبية في (معجم) ابن الحداد هي ظاهرة التكرار فكثيرا ما ذكر الفعل في باب ثم أعيد ذكره في باب أخر. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنه قد تكرر في حرف الراء وحده 36 فعلا كلها مما ورد أول مرة في باب ثم أعيد في باب ثان بأن يرد الفعل مثلا في باب (فعل وأفعل باتفاق المعنى) ثم يتكرر وروده في باب (فعل وأفعل باختلاف المعنى) مثل : (ربع) أو يرد في الثلاثي المفرد أولا ثم يعاد في مكان أخر (مثل : ربل) بل إن فعل (رثأ) قد تكررت مادته خمس مرات. وهذه لائحة الافعال المتكررة في حرف الراء :

رمش	رعم	رذم	ربع
رمض	رعى	رسا	ربل
رمع	رغث	رشح	رثا
رمل	رغم	رشد	رث
رم	رفد	رش	رجع
رمى	رفض	رشق	رجن
رهد	رفق	رصد	ردج
رهف	رفل	رصع	ردق
رهم	رمد	رعد	ردى

6 ــ كل هذه الملاحظات إنما تدل في النهاية على أن كتاب الافعال للسرقسطي لم يستطع أن يحقق تلك الشروط الضرورية التي يجب أن تتوفر في كل معجم وهي الاستيعاب، والدقة في الترتيب، وسهولة التناول التي تيسر للقارىء العثور على مطلوبه في أسرع وقت، وأن كل الجهد الذي بذله في التفريع والتبويب وتقسيم الاقسام الى أقسام، لم تؤد الى الغاية المرجوة. بل كانت على العكس من ذلك سببا أساسيا في حجب هذه الغاية وإبعادها. ومن هنا وجب أن يقال إنه كلما كانت بنية المعجم بسيطة كلما كان مناله سهلا والاستفادة منه أيسر.

ب) كتب الأسماء

والمعروف منها بالاندلس نوعان : نوع يهتم بجمع الاسماء والصفات التي تتفق في طريقة رسمها، وهي كتب المقصور والممدود والمهموز التي كان أسبقها وجودا بالاندلس وأهمها أيضا : كتاب القالي الذي رتبت صيغه حسب الابجدية الصوتية مثل ما حصل في البارع، مع مراعاة تقسيمات داخلية معقدة ومتشابكة (انظر دراستنا لهذا الكتاب في بحثنا عن أبي علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس) ثم تلاه كتاب ابن القوطية الذي ضاع، ثم كتاب ابن مالك الذي سمي (تحفة المودود في المقصور والمدود)، وهو عبارة عن منظومة تحتوي على 651 مادة، ولكنها بالطبع لا تتبع أي نظام معجمي.

والنوع الثاني منها هو الذي يهتم بجمع طائفة خاصة من الاسماء تشترك في خاصيتين : الاولى أنها مؤلفة من ثلاثة أحرف، والثانية أن فاء الكلمة فيها ثلاثي النطق : يفتح ويضم ويكسر مع اختلاف في المعنى أو اتفاقه، وذلك مثل (البَر والبُر والبِر)، وتدعى هذه الاسماء (مثلثات)، وأشهر وأقدم مؤلف في ذلك هو كتاب قطرب (ت 206 هـ) [133] الذي يحتوي على 33 مثلثة كل واحدة منها تضم ثلاث مفردات متحدة في الصيغة ومختلفة في حركة الفاء وفي المعنى. وقد احتفل الاندلسيون كثيرا بكتاب قطرب، فشرحوه وأضافوا اليه، وألفوا على منواله. ومن هذه المؤلفات، كتاب أبي حفص عمر بن محمد القضاعي البلنسي (ت

---

(133) طبع الكتاب بتحقيق د. رضا السويسي بتونس 1978 (الدار العربية للكتاب)

570 هـ) صاحب كتاب : (الباهر في المثلث) الذي قال عنه المراكشي في الذيل (475/1) إنه رآه في ثلاثة مجلدات. وابن مالك النحوي (ت 672 هـ) صاحب المنظومة المعروفة (بإكمال الاعلام بمثلثات الكلام) [134] وقد طبعت في مصر سنة 1329 هـ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطي. ويبلغ عدد أبياتها 2750 بيتا. غير أن ابن مالك لم يقصر عنايته على الاسماء من المثلث بل أضاف اليها الافعال. ومن خصائصه أنه قسم مثلثاته التي جمعها الى قسمين : ما اتفق معناه. ثم ما اختلف معناه. وهذا القسم الأخير رتبه على حروف المعجم بادئا بالهمزة ومنتهيا بالياء، وتضمن وحده 1185 كلمة. ولكن أشهر هذه الكتب الاندلسية وأهمها هو كتاب (المثلثات) لابي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (ت 521 هـ) الذي زاد على قطرب كثيرا من المواد سار في ترتيبها حسب الخطوات التالية :

ـــ قسم الكتاب الى حروف حسب الترتيب المغربي للابجدية بادئا بالهمزة، فالباء، فالتاء، على طريقة المعاجم الالفبائية.

ـــ قسم المواد داخل كل حرف الى بابين : باب المثلث المتفق المعنى وبلغت كلماته 138 كلمة ثم باب المثلث المختلف المعنى، وقد بلغت كلماته 695 كلمة.

ـــ رتب الألفاظ اللغوية داخل كل واحد من البابين حسب الحرف الاول منها لا غير، دون مراعاة الحرفين الثاني والثالث من الكلمة. وهكذا فقد رتب الكلمات في باب المثلث المختلف المعنى من حرف الباء على هذا النحو :

البيـن ... ...
البـزر ... ...
البشـر ... ...
البضـع ... ...
البـر ... ...
البـور ... ...
البـوص ... ...

(134) انظر كشف الظنون 1587/2

البصـر	...	...
البكـر	...	...
البـرك	...	...
البـد	...	...

...الخ

ـــ رتب مفردات كل ثلاثية فيما بينها، فجعل المفتوح أولا، والمكسور ثانيا، والمضموم الثالث في الترتيب.

ومن ملاحظتنا على كتاب البطليوسي أنه وإن كان خاصا بصيغ الاسماء (ما كان منها مصدرا أو صفة أو اسما بالوضع) فقد احتوى على قلة نادرة من الافعال اضطر الى إيرادها حين لم يجد من الاسماء ما يضعه بدلها كما حدث في حرف الباء (برأ ـــ بجح). وحرف الجيم (جزل)، وانه اعتنى في شرح المفردات بإيراد الشواهد القرآنية والحديثية فضلا عن الشعر وأقوال اللغويين. ومن هذا الوصف يتضح أن البطليوسي قد طور التأليف في هذا النوع من مدونات اللغة، فصيره على قدر لا بأس به من التنظيم المعجمي كثير المفردات، بعد أن كان شكله الاول الذي وضعه قطرب، قليل المادة لا يعرف أي شكل من التنظيم، سوى ما كان من اعتبار حركة العين في الكلمة وذلك بتقديم مفتوحها على مكسورها، ومكسورها على مضمومها في كل ثلاثية [135].

5 ـــ 2 ـــ نحو معاجم الغريبَيْن

كتب الغَرِيبَيْن هي تلك المدونات اللغوية المتخصصة في ألفاظ القرآن

---

(135) اعتمادت في وصف كتاب البطليوسي على مخطوط الرباط رقم 45 ق. ثم اطلعت بعد ذلك على طبعته التي صدرت في بغداد سنة 1981 بتحقيق الزميل الدكتور صلاح مهدي علي الفرطوسي. فدم لها بدراسة اشتملت على إحصاء صوتي لجذور المثلث المختلف المعاني في العربية وذلك من خلال سبع مؤلفات لغوية في موضوع المثلثات. وقد كان من نتائج إحصائه أن عدد المثلثات التي وردت بهذه الكتب لا يختلف معناه 1708 كلمة وعدد جذورها 852 جذرا. كما استخلص من احصائه هذا أكثر الاصوات الشائعة في هذه الجذور المثلثة بالعربية هي الاصوات الحلقية بالنسبة للحرف الاول من الجذور. وبالتالي فان حرف العين هو أكثر الحروف شيوعا، يليه حرف الخاء والقاف. كما توصل الى معرفة أن حرف الباء هو أكثر الحروف ورودا في هذه الجذور بصفة عامة وبغض النظر عن موقعه في الرتبة الاولى أو الثانية أو الثالثة.

والحديث، ولا سيما الغريب منها، فتورده على ترتيب معين، يكون ألفبائيا او حسب السور القرآنية ومواضيع السنة النبوية وأبوابها، وتشرحه شرحا لغويا ممزوجا بالأخبار الادبية والشواهد الشعرية أحيانا. وقد تطور التأليف في غريب القرآن بالمشرق منذ القرن الخامس على يد الراغب الأصبهاني صاحب كتاب (المفردات) الذي اتخذ شكل معجم كامل لالفاظ التنزيل، مرتب على الالفباء وحسب أصول الكلمات، كما تطور التأليف في غريب الحديث أثناء القرن السادس على يد القاضي عياض بالمغرب، وذلك في كتابه المسمى (مشارق الأنوار).

وأما الاندلسيون فقد بدأوا التأليف في هذا النوع، منذ القرن الثالث الهجري، فكان منها كتاب لعبد الملك بن حبيب السّلمي (ت 239 هـ) وآخر لابي عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشَني (ت 286 هـ) وثالث لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت 302 هـ). وقد ضاع الكتابان الأولان وبقي الكتاب الثالث الذي سنتحدث عنه. ولكن ابن خير الاشبيلي، يحدثنا في فهرسته (ص 195) عن كتاب الخشني فيقول : إنه كان في نيف وعشرين جزءا «شرح حديث النبي عليه السلام في أحد عشر جزءا، وحديث الصحابة في ستة أجزاء، والتابعين في خمسة أجزاء». ومن هذا الوصف المقتضب، نعلم على الاقل، أن الكتاب لم يكن معجما مرتبا حسب أي شكل معروف من أشكال المعاجم، ولكنه على طريقة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224) وأبي محمد بن قتيبة (ت 276 هـ) في غريبيهما، وهي الطريقة نفسها التي سار عليها كتاب (الدلائل) لقاسم بن ثابت السرقسطي الذي ألف بالاندلس سنة 299 هـ [136]. فقد بوب قاسم كتابه حسب رجال الحديث وأصحابه بادئا بأحاديث الرسول عليه السلام التي استغرقت الجزء الاول كله، وطرفا من الجزء الثاني، ثم أتبعها بما رُوي عن أبي بكر، ثم ما روي عن عمر، فعثمان، فعلي، فبقية الصحابة رضوان الله عليهم، بادئا بالزبير ابن العوام ومنتهيا بالتابعين وتابعي التابعين. وهو في ذلك كله، يورد نص الحديث أو الفقرة المتضمنة منه لالفاظ غريبة، يشرح ما قصد اليه من ذلك، مستشهدا بالأشعار، وناقلا عن الرواة. وهذا مثال يوضح طريقته في الشرح :

---

(136) انظر مقالة الاستاذ عز الدين التنوخي حول كتاب الدلائل بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلد 41 ج 1 سنة 1966. وقد ذكر ان للكتاب نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق. وأنا اعتمدت في هذا البحث على نسخة الرباط التي ينقصها الجزء الاول

قال في حديث الرسول عليه السلام [137] الذي نصه : «إن هَبَّار بن الأسود أصابته نقْلة الى المدينة، وكان رجلا سِباًّ، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له : هذا هبَّار يَسُب ولا يُسَبُّ. فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا هبار، سُبَّ من سَبَّك.» شارحا :

«أخبرنا إبراهيم قال : نا محمد بن إدريس قال : نا الحميدي قال : نا سفيان : نا ابن أبي نجح : السِّبُّ : الكثير السِّباب، وسِبُّ الرجل أيضا الذي يُسَابُّه.

قال حسان بن ثابت :

لا تَسُبَّنَّــــــي، فلست بِسِبِّــــــي إن سِبِّي من الرجـــال الكريـــمُ»

وبعد السرقسطي نجد من المؤلفين في الغريب : القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت 355 هـ) [138] وأبا محمد مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) المشهور بدراساته القرآنية وصاحب كتاب (غريب القرآن) [139]، وأبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي المعروف بابن الخراط (ت 581 هـ) وله كتاب في الغريبين يسمى (الواعي في اللغة) قيل إنه كان يضاهي كتاب الهروي، فلعله كان مرتبا على طريقته وقد ذكره ابن فرحون في الديباج وقال إنه يقع في 25 مجلدا [140].

ولكن أهم هذه المؤلفات الاندلسية الموجودة مما له علاقة بسياق حديثنا، هو كتاب (تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) [141]، لأثير الدين أبي حيان النحوي (ت 745 هـ)، إذ هو وحده الذي يستحق فيما وقفنا عليه من هذا النوع من كتب الاندلسيين، أن تضفى عليه صفة (معجم) متخصص بلا أدنى مبالغة، وذلك على الرغم من كونه ليس في حجم ولا تفصيل كتاب

---

(137) الدلائل ــ نسخة الرباط. ج 2 ص 57

(138) طبقات الزبيدي، ص 295 ولم يذكر اسم الكتاب

(139) ابن خير ص 67. .

(140) الديباج (ص 176 ــ 177) وجاء في شذرات الذهب (271/4) أن اسم هذا التأليف هو : (كتاب الغريبين في اللغة) واكتفى ابن شاكر في فوات الوفيات (518/1) بالقول : (وله في اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الهروي)، وفي معجم المؤلفين لكحالة : (92/5) أنه (الحاوي في اللغة).

(141) أعتمد هنا على الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب وخديجة الحديثي سنة 1977 ــ بغداد.

(المفردات) للراغب الاصبهاني. فقد رتبه صاحبه ترتيبا ألفبائيا مبتدئا بالهمزة ومنتهيا بالياء، مراعيا أصول الكلمات دون زوائدها، ولكنه أهمل ما سوى الحرفين الاول والاخير في الكلمة. ويمتاز عن بقية معاجم نوعه بكونه طرح الشواهد الشعرية، ولم يتبع سائر المعاني التي يأتي من أجلها اللفظ، وهذا ما يوضحه قول المؤلف في المقدمة القصيرة، وذلك بعد أن قسم لغة القرآن الى قسمين : قسم يفهمه الجميع وقسم غريب يفهمه الخاصة وهو الذي ألف من أجله الكتاب، فيقول :

«والمقصود في هذا المختصر أن نتكلم على هذا القسم، وأن نرتبه على حروف المعجم، فأذكره في كل حرف منها معتبرا في ذلك الحروف الاصلية لا الزائدة، مقتصرا في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن العزيز».

وأما طريقته في شرح الالفاظ فهي تسير حسب الشكل التالي :

قال في حرف الهمزة :

«الأب : ما رعته الأنعام، وقيل هو للبهائم كالفاكهة للناس
الإربة : الحاجة
أوّاب : رجّاع
أوّبي : سبحي
ألت : نقص، ويقال : لات يليت
الأثاث : المتاع
الأجاج : المر، الشديد الملوحة
الإد : العظيم
......الخ»

وهكذا نلاحظ :

1 ـ اختصار المؤلف في الشرح اختصارا تاما لا يكاد يتعرض لغير المعنى الوارد في نص القرآن من بقية معاني الكلمة.

2 ـ عدم إحالته على مكان اللفظ من النص القرآني.

3 ــ عدم مراعاته لحشو الكلمة في الترتيب، وانما يكتفي بمراعاة الحرفين الاول والثالث من أصول الكلمة.

4 ــ عدم التفاته للشواهد الشعرية وغير الشعرية

5 ــ 3 ــ نحو معاجم للطب والصيدلة

جرت عادة مؤرخي المعاجم العربية أن يهملو في دراساتهم هذا النوع من مجاميع المفردات اللغوية الخاصة بأعيان النبات والطير والحيوان وغيرها من الاشياء التي تدخل في صناعة الغذاء والدواء، مما كان القدماء يطلقون عليه اسم (الأدوية المفردة)، وكأن ما كتبه داود الانطاكي في الشرق وابن البيطار والغافقي وغيرهما في المغرب ليس من اللغة في شيء، وليس له بمعاجم العربية أي ارتباط، والحال أنها على عكس ذلك تماما. نعم قد يقال إن أغلب تلك المفردات ليس عربيا في الاصل فهو دخيل من اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية ولغات الامم الاخرى، ولهجات عامية إقليمية، ولكن هذا ليس مبررا على الاطلاق، لان من شأن هذا الحكم المسبق على هذه الطائفة من الالفاظ ــ إن هو قد وجد بالفعل ــ أن يخفي عنا لغتنا العربية فيظهرها وكأنها عاشت حياتها معزولة عن كل تطور أو تحول، وكل تأثير أجنبي، صافية لا خليط فيها ولا هجين، والحال أن كل تلك الكلمات الواردة بمعاجم المفردات الطبية كان متداولا في الاستعمال، ومعروفا في المجتمعات العربية وقد دخل الكثير منه الى المعاجم العربية الكبرى واستقر بها، وأن أطباءنا وصيادلتنا القدامى كانوا يضطرون لاستخدام الفاظ غير عربية الأصل لانهم لا يجدون مقابلها في العربية، إذ هي تدل على أشياء ومسميات لم يعرفها العرب فلم يضعوا لها اسما.

وعلى كل حال ، فقد كان للاندلسيين في هذا المجال باع طويل، واشتهرت من بينهم أسماء عديدة اقترن ذكرها بالتأليف في هذه المفردات، نذكر منها على سبيل المثال الطبيب المعروف بابن وافد (ت 460 هـ) [142]، وأمية بن أبي

---

(142) ترجمته في عيون الانباء 49/2

الصلت (ت 252 هـ) [143] وأبا العلاء بن زهر (ت 525 هـ) [144] وأبا جعفر الغافقي (ت 560 هـ) [145]، وغيرهم كثير يمكن التعرف عليهم بمراجعة كتب الطبقات الخاصة بالاطباء، وقد ضاعت كتب بعضهم وسلم بعض آخر. ولكن ما وصل الينا منها يدل على أن العادة المتبعة عندهم في ترتيب الالفاظ كانت تسير على طريقة المعجم الالفبائي مع تفاوت في إحكام هذا الترتيب .

على أن أهم تصنيف أندلسي يستحق في نظرنا صفة معجم، هو كتاب أبي محمد عبد الله بن أحمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار (ت 446 هـ) الذي سماه (الجامع) [146]. لانه تضمن سائر أقوال السابقين من عرب ويونان وغيرهم. ويسير ابن البيطار في مؤلفه حسب الخطة التالية :

ـــ رتب الالفاظ حسب الحرف الاول منها ثم الثاني وجعلها أبوابا، كل واحد منها يحمل اسم حرف من حروف الأبجدية.

ـــ ذكر في المقدمة أنه سيلتزم بضبط مواد الابواب شكلا ونقْطا، ولكن الكتاب حين طبع جاء خاليا من ذلك، سوى ما كان من هذه الالفاظ مضبوطا بالعبارة والنص وهو ليس بالكثير. ولو كان عمم هذه الطريقة الاخيرة على سائر المواد لجاء أشد إتقانا.

ـــ بدأ كل مادة بذكر أصلها الاجنبي إن كان اللفظ غير عربي، ثم ذكر الاسم الذي تعرف به في بعض الأقاليم والبلدان. وقد احتفظ لنا الكتاب نتيجة ذلك بطائفة كبيرة من الكلمات الدخيلة والمعربة من اللغات اليونانية واللاتينية والايطالية والهندية والصينية، ولغات ولهجات العرب العامية والمحلية مع **اعتناء خاص بالالفاظ والاستعمالات المغربية والاندلسية** التي بلغت بدورها قدرا لا بأس به . وقد ورد منها على سبيل المثال :

أفـــون : نبات شوكي يعرف في بعض بوادي الاندلس (برأس الشيخ)

الاقطـــي : شجر معروف ، منه كبير يسمى بعجمية الاندلس (شبوقة)

---

(143) نفسه 52/2

(144) نفسه 64/2

(145) نفسه 52/2

(146) أعتمد هنا على الطبعة الاولى بمصر سنة 1291 هـ وهي في مجلدين

ومنه صغير ، ويسمى بعجمية الاندلس أيضا (بذقة).

الاشخيص : شوكة العلك عند أهل الاندلس، ويعرفونه بالشبكاني) ايضا، وبالبربرية (أداد)

الاسرنج : هو المعروف عند عامة المغرب (بالزرقون).

ويتحدث عن (لوز البربر) فيقول : «والبربر في المغرب الاقصى يسمونه : (أرجان) وهو شجر يكون بالمغرب الاقصى بقبيلة مراكش ببلاد (حاحا) و (ركراكا) كثير الشوك حديده، يمنع شوكه من الوصول الى جَنْب ثمرته، ويستخرج من ثمره دهن .أن تُعطى ثمرته المعزَ أو الابل تأكله عند نضجه على شجره، فاذا أكلته ورمت بنواه من بطونها، فحينئذ يلقطونه ويكسرونه كاللوز ويأخذون لبه فيطحن كالزيتون ويستخرج منه دهن يتأدم به، وهو عندهم من أفضل الأدهان وأرفعها، ويسمى زيت (الأركان) ».

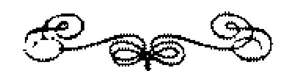
وقد كان اعتماده في معرفة هذه الانواع المتنوعة من الالفاظ التي تختلف باختلاف الاقاليم، مع أن مدلولها واحد أحيانا، على كتب الطب والصيدلة العربي منها والمعرب، فضلا عن كتب الرحلات والجغرافية، واللغة، التي وضعها مؤلفون من مختلف البقاع الاسلامية. وبالنسبة للالفاظ الاندلسية والمغربية، اعتمد ابن البيطار من جهة على مشاهداته ومعرفته الشخصية، فقد عاش بالاندلس، ورحل الى تونس. ومن جهة أخرى على المؤلفات الاندلسية والمغربية السابقة له والمعاصرة، وهي كثيرة جدا، نذكر منها بصفة خاصة : (كتاب النبات) لابي عبيد البكري (ت 487 هـ) الذي سماه ابن أبي أصيبعة : (أعيان النبات والشجريات الاندلسية)، (52/2). وكتاب (الادوية المفردة) للغافقي، ومؤلفات أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية (ت 637 هـ) وابن جلجل ، ومروان بن جناح، والزهراوي.

— يحدد بعد ذلك ماهية الشيء الذي وضُع له اللفظ، فيعرف بشكله وطعمه ولونه ومكان وجوده، ويصفه وصفا دقيقا يقل وجود نظيره في المعاجم اللغوية الكبرى التي تكتفي في الغالب عند ذكر النبات أو الحيوان بالتنصيص على أنه (معروف) أو (مشهور)، وما أشبه ذلك من التعميمات. ويكفي مقارنة مادة

منه بما ورد عنها في بعض معاجم اللغة للتأكد من هذه الحقيقة، ذلك أن دقة التعريف في كتب الصيدلة غرض مقصود لما يترتب عليه من صناعة للادوية الصالحة لمعالجة الابدان.

ـــ بعد مرحلة التعريف والوصف يأتي الجانب الصيدلي والطبي المتمثل في تقديم الكيفية التي يستخرج بها الدواء من تلك المادة المذكورة والمقدار الواجب استعماله، والأمراض التي يصلح لها. وهذا هو الجانب الوحيد الذي ليس للغوي به اهتمام في هذه المعاجم.

ولو لم يكن في معجم ابن البيطار وأشباهه الا هذا التحديد الدقيق لمعاني الألفاظ، والا هذا القدر الكبير الذي يحتفظ به من كلمات تمتّ الى أقاليم عربية وإسلامية مختلفة، لكان ذلك وحده كافيا للاهتمام بها والانكباب على دراستها، واعتمادها في صنع معاجم عصرية متخصصة، فضلا عما تتيحه للدارس اللغوي من فرص للتعرف على مستويات لغتنا العربية في العصور السابقة.



خاتمـــة

كانت الغاية من هذا البحث هي ابراز جانب من النشاط اللغوي الذي عرفته الاندلس، وهو المتمثل في التأليف المعجمي للغة العربية. وقد تتبعنا تلك الحركة منذ بدايتها في القرن الرابع الهجري، ولكننا لم نرد بعد ذلك أن نسير بها سيرا تاريخيا من عصر الى عصر، فلا نقف الا بسقوط الاندلس وانتهاء الوجود العربي بها، بل رجعنا الى ما استطعنا معرفته من المعاجم، فصنفناه حسب المدارس والاتجاهات المشهورة لدى الدارسين العرب، فتبين لنا أنها كانت تمثل خمسة اتجاهات أو أنماط مختلفة وجدنا أبرزها وأقواها تأثيرا وأسبقها وجودا بشبه الجزيرة الايبيرية في مرحلتها الاسلامية، هو والاتجاه الذي يتخذ من كتاب العين للخليل بن أحمد محورا وأساسا، فبدأنا بالحديث عنه، وأفضنا قدر الامكان، نظرا لمكانته في مسار هذه الحركة، ولغزارة الانتاج فيه وأهميته. وقد أوضحنا خلال ذلك دور مدرسة القالي واتجاهها في ترسيخ هذا النوع من التأليف إللغوي، وان كان أثرها لم يقف عنده، بل تجاوزه الى بعض الاتجاهات الاخرى التي ذكرنا منها : الاتجاه نحو التبويب، والاتجاه نحو المعاجم المتخصصة، والاتجاه الألفبائي. وكان الهدف من إفراد كتاب (المسلسل في اللغة) لابي طاهر التميمي باتجاه خاص بين بقية الاتجاهات المعروفة، هو التنويه بقيمته المعجمية، بحيث لو أعيد ترتيب مواده وفق الطرق الحديثة في صناعة القواميس، لكان إضافة عظيمة لرصيدنا في هذا الميدان. وأجدني بالمناسبة، أدعو الى إعادة ترتيب كل المدونات اللغوية التي لم ترق الى طور المعجم،

فظلت الاستفادة منها محدودة جدا، والحال أن إعادة إحيائها بهذه الطريقة يقدم لنا أكثر من سلاح لمواجهة عصر المصطلح الذي نعيشه.

أما الحديث عن كتب (الأدوية المفردة) الاندلسية فكان ـــ مع اقتضابه ـــ ضروريا لاستكمال النظرة الشمولية التي أحببنا أن يتزود بها القارىء، وبدونها يظل حق الاندلسيين في حركة المعجم العربي منقوصا.



ملحق

كتـاب

استـــدراك الغلـــط

الواقــع في كتــاب العيــن

لأبي بكر الزبيدي (ت 339 هـ)

(تعريف به، وتحقيق لمقدمته)

يعتبر أبو بكر الزبيدي (محمد بن حسن ت 379) [1] من أشهر أعلام اللغة في الاندلس، وأنبه تلاميذ القالي وأجل أصحابه. فلما مات شيخه، ورثه في غزارة علمه وكثرة تآليفه التي منها :

ـــ كتاب الواضح في علم العربية (مطبوع)
ـــ كتاب لحن العوام (مطبوع)
ـــ طبقات النحويين واللغويين (مطبوع)
ـــ مختصر العين (طبع منه قسم صغير بالمغرب)
ـــ أبنية الاسماء والافعال (أو أبنية سيبويه) ويسمى أيضا (المستدرك على أبنية سيبويه) (مطبوع)
ـــ كتاب الامثلة (وردت الاشارة اليه مرارا في هوامش نسخة القرويين من مختصر العين)
ـــ المستدرك من الزيادة في البارع على كتاب العين (ويسمى أيضا : المستدرك في اللغة (مخطوط)
ـــ الانتصار للخليل فيما رد عليه في العينْ (مفقود)
ـــ الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين (مفقود) .

---

(1) انظر ترجمته في الجذوة : 43 ـــ تاريخ العلماء 92/2 ـــ الوعاة : ص 34 ـــ الملتمس : 66 ـــ إنباه الرواه : 108/3 يتيمة الدهر : 71/2 ـــ النفح : 4/ 74 ـــ ومن الدراسات الحديثة انظر كتاب نعمة رحيم العزاوي بعنوان : (ابو بكر الزبيدي وآثاره في النحو واللغة) ـــ النجف ـــ 1975. ورسالة الكاتب عن ابي علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس الرباط 1983

— استدراك الغلط الواقع في كتاب العين [2] موضوع حديثنا — وهو كتاب وضعه الزبيدي ليكون حجته على معارضيه في رأيه المشهور عنه وهو ان العين لا يصح أن يكون منسوبا للخليل بن أحمد لكثرة ما فيه من الأخطاء والاغلاط التي لا يصح صدورها عن مثله ، وهكذا اضطر — بعد أن بلغه اعتراض بعض الاندلسيين ومقاومته ما كان يقول به، في رسالة كتبها اليه أحد أصدقائه — الى تجريد تلك الأخطاء واحدا واجدا وترتيبها في شكل معجم صغير على الأبجدية، وتقديمها في هذا الكتيب الضئيل الحجم. وقبل ذلك كان قد نثر هذه الملاحظات في كتاب أكبر هو كتاب : (المستدرك في اللغة ..) فجاء (الاستدراك ...) كأنه اختصار من (المستدرك...) أو بعض منه.

وقد وقع حول هذا الكتاب خلط كبير، ولم يشر أحد من الدارسين المحدثين الى وجوده قبل اليوم. وكان أول من ذكره من القدامى حسب علمي، هو القاضي عياض في المدارك (582/4)، وتبعه ابن فرحون في الديباج (ص 263)، وسمياه معا : كتاب (غلط صاحب العين)، ثم أشار اليه السيوطي بعد ذلك، ونقل عنه في مزهره (79/1 — 381/2) وسماه : (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين). وقد وقع لكثير من الدارسين خلط بين هذا الكتاب و (مختصر العين)، وظنوهما كتابا واحدا، ومنهم الشيخ مرتضى الزبيدي في تاج العروس، والقنوجي في كتاب (البلغة في أصول اللغة)، وحاجي خليفة في كشف الظنون، وعلي عبد الواحد وافي في (فقه اللغة)، ونبه على أخطائهم جميعا محققا القسم الأول من مختصر العين [3].

أما الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، فقد خلط أولا بينه وبين (كتاب الانتصار للخليل) في مقدمة تحقيقه لطبقات النحويين، وخلط ثانيا بينه وبين

---

(2) لم يرد هذا العنوان فيما نبقى لنا من قطع الكتاب ، وقد جاء في مقدمته ما نصه : «وأنا ذاكر الآن من الخطأ الواقع في كتاب العين، مالا يذهب على من شدا شيئا من النحو ...» — والذي أورد هذا العنوان هو صاحب المزهر (79/1) فقال : (وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي اللغوي مؤلف مختصر العين، في أول كتابه — استدراك الغلط الواقع في كتاب العين — وهو مجلد لطيف ..) وقد آثرت استعمال العنوان الذي ورد في المزهر لاحتمال أن يكون هو الأصل الذي نقله السيوطي.

(3) انظر مقدمة تحقيق القسم المطبوع من مختصر العين للمرحومين محمد بن تاويت الطنجي وعلال الفاسي، وقد طبع بالدار البيضاء سنة 1963 م.

كتاب (المختصر) في حاشية تحقيقه لكتاب (إنباه الرواة) للقفطي، فقال : إن (استدراك الغلط) الذي ذكره السيوطي جزء من (المختصر) (109/3).

وقد كنت أهتديت أثناء اشتغالي بموضوع أبي علي القالي[4] الى وجود ثلاث قطع من هذا الكتاب، لم يكن معروفا منها قبل اليوم سوى قطعة واحدة، وهذه هي القطع الثلاث :

1 ــ قطعة مضمنة في كتاب (المستدرك في اللغة) المخطوط بالقرويين تحت رقم 64 ، وذلك في صفحات متفرقة.

2 ــ قطعة محفوظة بالقرويين تحت رقم 118.

3 ــ قطعة في المزهر للسيوطي، وهو كتاب مطبوع متداول.

القطعة الأولــى :

أما القطعة الاولى فهي أكبر القطع المتبقية من الكتاب اذ تقع في 34 صفحة، ولكن العيب فيها أنها موزعة بشكل غريب بين ثنايا كتاب (المستدرك في اللغة) بحيث يصعب فرزها منه الا بمشقة تتطلب فيما تتطلبه شدة المراس وطول التفكير، ومعرفة تامة بالموضوع. وقد تبين لي أخيرا ان كتاب (المستدرك ...) كان في أصله أوراقا منفصلة، فلما أراد الموكاون بخزانة القرويين أن يرتبوا هذه الأوراق ويضموها في سفر واحد، لم يحترسوا جيدا، فجمعوا فيما جمعوه أوراقا أخرى من كتاب (استدراك الغلط ..). والواقع أن هناك أشياء عملت عملها في حدوث اللبس ترجع في جملتها الى الشبه الموجود بين موضوع الكتابين، والى الورق المقصوص على حجم واحد، ثم الى الخط الذي كتبا به، وهو خط واحد أيضا. وإني لأعجب كيف لم يتنبه أولئك الموكلون بالخزانة القروية الى أن القطعة التي سنتحدث عنها تشترك مع كتاب المستدرك (وضمنه القطعة الاولى) في كل هذه الخصائص (الخط ــ نوع الورق وحجمه ــ الموضوع) فحق تلك الاوراق التي ضمت غصبا الى كتاب المستدرك أن تضم الى القطعة الثانية لانها جزء منها وتتمة

(4) وهي رسالة لدبلوم الدراسات العليا نوقشت بفاس بتاريخ 1976/1/30 م. وطبعت بمطبعة فضالة (المحمدية) سنة 1983 م.

خا كما سنرى. وهكذا فقد وجد هذا القسم المتبقى من كتاب (استدراك الغلط ..) مضمنا في الكتاب الاصلي وموزعا بين ثناياه بشكل يوهم أنه بعض منه. وقد توصلت الى جمعه وتبويبه على هذا النحو : [5]

ـ حـرف الحـاء ـ

الموجود منـه	موضعه من كتاب المستدرك
الثلاثي المعتل	ص 70
الـربـاعـي	ص 71
الخمـاسـي	ص 71

ـ حـرف القـاف ـ

الثنائـي المضاعـف	ص 71
بداية الثلاثي الصحيح (في آخر سطر)	ص 71
قطعـة من الثلاثـي الصحيح	ص 66

ـ حـرف الكـاف ـ

قطعة من الثلاثي الصحيح	ص 140
بداية الثلاثـي المعتـل	ص 140
اللفيـف	ص 141
الرباعـي	ص 142
الخماسـي	ص 142

---

(5) راعيت في ترتيب هذه الحروف نظام الخليل في كتاب العين، لأن الزبيدي حافظ عليه في مختصره ومستدركه على العين حتى يسهل تتبعه. ولم أذكر هنا من الحروف سوى ما وجدته بهذه القطعة.

ـ حرف الجيم ـ

الثنائي المضاعف ص 142
الثلاثي الصحيح ص 142
الثلاثي المعتل ص 143
الرباعي ص 143
قطعة أخرى من الرباعي ص 172
بداية الخماسي ص 172

ـ حرف الشين ـ

الثنائي المضاعف ص 172
الثلاثي الصحيح ص 172
الثلاثي المعتل ص 172
اللفيف ص 173
الرباعي ص 173
الخماسي ص 173

ـ حرف الضاد ـ

الثنائي المضاعف ص 173
الثلاثي الصحيح ص 173
الثلاثي المعتل ص 173
اللفيف ص 188
الرباعي ص 188

ـ حرف الصاد ـ

الثنائي المضاعف	ص 188
الثلاثي الصحيح	ص 188
الثلاثي المعتل	ص 188
اللفيف	ص 188
الرباعي	ص 188

ـ حرف السين ـ

الثنائي المضاعف	ص 189
الثلاثي الصحيح	ص 189
الثلاثي المعتل	ص 190
اللفيف	ص 191
الرباعي	ص 191

ـ حرف الزاي ـ

الثلاثي الصحيح	ص 191
الثلاثي المعتل	ص 192
الرباعي	ص 192

ـ حرف الطاء ـ

الثنائي المضاعف	ص 192
الثلاثي الصحيح	ص 192
الرباعي	ص 192

ـ حرف الدال ـ

الثنائي المضاعف ص 193
الثلاثي الصحيح ص 193
الثلاثي المعتل ص 193
الرباعي ص 194

ـ حرف التاء ـ

الثنائي المضاعف ص 194
الثلاثي الصحيح ص 194
الثلاثي المعتل ص 194

ـ حرف الظاء ـ

الثنائي المضاعف ص 194
الثلاثي الصحيح ص 194
الثلاثي المعتل ص 194
الثلاثي المعتل ص 195
اللفيف ص 195

ـ حرف الثاء ـ

الثنائي المضاعف ص 195
الثلاثي الصحيح ص 195
الثلاثي المعتل ص 195
اللفيف ص 196
الرباعي ص 196

ـ حرف الراء ـ

الثنائي المضاعف ص 196
الثلاثي الصحيح ص 196
الثلاثي المعتل ص 196
اللفيف ص 196

ـ حرف اللام ـ

الثنائي المضاعف ص 197
الثلاثي الصحيح ص 197
الثلاثي المعتل ص 197

ـ حرف النون ـ

الثنائي المضاعف ص 202
اللفيف ص 202

ـ حرف الفاء ـ

الثنائي المضاعف ـ اللفيف ص 202

ـ حرف الباء ـ

الثلاثي المعتل (قطعة منه) ص 202
اللفيف ص 202

— حـرف الميـم —

قطعة من اللفيـف   ص 203

— حـرف الهمـزة —

الثنائي المضاعف ـــ اللفيف   ص 203

ذلك هو الموجود والمتبقى من الكتاب بهذه القطعة، وبالاضافة الى النقص الذي أصاب بعض الابواب المذكورة، فان هناك نقصا آخر يتجلى في ضياع حرفي العين والدال من الحروف الصحيحة، وخلو هذه القطعة منهما، أما حروف العلة الثلاثة (اوى) فانه لم يعقد لها بابا ونبه على ذلك في (ص 201) وفي آخر القطعة نجد خاتمة قصيرة يقول فيها الزبيدي :

«... قال أبو بكر : محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج : هذا آخر ما ذكرناه مما نبهناه عليه، فيما نسب الى الخليل بن أحمد رحمه الله، ويعيذ الله الخليل بن أحمد منه.» (ص 203). وهي بالطبع ليست خاتمة كتاب المستدرك بل خاتمة كتابنا الذي نتحدث عنه. وأما مقدمته فسنجد جزءا كبيرا منها في القطعة الثالثة، وهي تامة في القطعة الثانية.

القطعـة الثانيـة :

وهي قطعة صغيرة جدا، محفوظة بالقرويين، وتقع أصلا في 14 ورقة (27 صفحة). وتشترك مع القطعة الاولى في حجم ورقها ـــ وهو حجم متوسط ـــ وفي الخط الموحد، وهو خط مغربي أو أندلسي قديم، من خصائصه أنه يهمل نقط كثير من الحروف المتشابهة. ولكن هذه الاوراق ليست كلها جزءا من كتاب (استدراك الغلط)، بل ليس فيها سوى ثمانية أوراق (15 صفحة والورقة الاولى مكتوبة من الظهر فقط) تتضمن كتاب الغلط، وهي المقدمة التي لا يصرح فيها باسم الكتاب، وانما يشير الى أنه سيذكر الخطأ الواقع في كتاب العين ـــ كما سبق ـــ وهناك مع المقدمة حرف العين، وقسم صغير من حرف الحاء (المقدمة ـــ

حرف العين ـــ بداية حرف الحاء) واما الورقات الست الباقية (9 ـــ 10 ـــ 11 ـــ 12 ـــ 13 ـــ 14) فهي جزء من كتاب (المستدرك في اللغة) وبه فقط باب الهمزة الذي لم يبق منه بدوره سوى الحروف الاتية :

(بقية الكاف ـــ الجيم ـــ الشين ـــ الضاد ـــ الصاد ـــ السين ـــ الزاي ـــ الطاء ـــ الدال المهملة ـــ التاء ـــ الظاء ـــ الذال المعجمة ـــ الثاء المثلثة ـــ الراء ـــ اللام) حسب الترتيب . فهو يذكر الهمزة مع الكاف وسائر الحروف، ثم الهمزة مع الجيم وسائر الحروف. وهكذا .. .وكل ذلك داخل في أبواب الثلاثي الصحيح فقط، وليس حرف الهمزة مع بقية الحروف موجودا بكتاب (المستدرك) مخطوط القرويين رقم 64.

ولا يخفى بعد هذا ما لهذه القطعة على صغرها من قيمة علمية، فقد احتفظت لنا بمقدمة الكتاب تامة، على حين وردت في مزهر السيوطي ناقصة مبتورة، كما تضمنت أبوابا ومواد بعضها يتم النقص الموجود بالقطعة الأولى، وبعضها يضيف لها ما ليس فيها

القطعـة الثالثـة :

وأما القطعة الثالثة، فهي ليست جديدة على الدارسين المهتمين، إذ يعود كل الفضل لجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) في الاحتفاظ بها في كتابه المزهر فنقل في الجزء الاول (ص 79 وما بعدها) مقدمة الكتاب، ثم نقل في الجزء الثاني (ص 381 وما بعدها) أبوابا منه أغلبها موجود بالقطعتين السابقتين، ولكن الجديد الذي كشف عنه وجود تينك القطعتين هو أن السيوطي كعادته، قد تصرف في هذه النقول تارة بالاختصار من عبارات المؤلف، وتارة بالاختيار والانتقاء من النص الطويل أو المواد الكثيرة بالشكل الذي يوصل الى غرضه المقصود. والمثال على ذلك أن الزبيدي ذكر في كتابه : (باب عَنَك) من حرف العين، فقال :

«... وفي باب عَنَك : ـــ العانكُ من الرمل : الاحمر. قال أبو بكر :

العانك من الرّمل : المنعقد، يقال : عَتَنَّكَ البعيرُ إذا لم يُطق السير فيه. وذكر [6] في هذا الباب أيضا : عاتق : أصفر. قال أبو بكر : الصواب، عاتك، ويقال خمر عاتك وهي الصافية ...» [7].

فنقل السيوطي هذه المادة مختصرة على النحو التالي :

«... وذكر [8] في باب عنك : عِرْق عانك : أصفر والصواب : عاتك» [9]. وسنرى أيضا كيف أنه تصرف في المقدمة نفسها بالحذف والاختصار.

غير أن هذا لا يقدح تماما في قيمة الاشياء التي نقلها السيوطي الى كتابه، ــ وقد جعلناها قطعة ثالثة ــ فان لها فضلا كبيرا مع ذلك، يتجلى في كونها انفردت بذكر مواد غير موجودة في غيرها. واذا عرفنا ان القطعتين السالفتين قد أصابهما من العبث والاتلاف شيء كثير، وأن فيهما خروما عديدة تستعصي معها القراءة في بعض الاحوال، ازداد تقديرنا لهذه القطعة التي تفيدنا في التحقيق والمقابلة فضلا عن القراءة.

وباستطاعة الدارس الآن، وعلى ضوء هذه القطع المتبقية من الكتاب، أن يكون فكرة شبه تامة عن حجمه وموضوعه، وطريقة تأليفه، وتاريخ كتابته.

فاما عن حجمه، فان جميع المتبقى لا يعدو 42 صفحة من القطع المتوسط بمعدل 27 سطرا في كل صفحة، ولكن المفقود منه ليس شيئا كبيرا، بل هو في تقديرنا لا يزيد عن بعض صفحات فيها تكملة لبعض الابواب الناقصة، بالاضافة الى حرف الذال المعجمة الذي ضاع برمته. وهكذا فان الكتاب في أصله كان صغير الحجم، واقعا في حوالي 50 صفحة. ونحن على كل حال لا نعرف الآن قطعة أخرى سوى ما سبق ذكره.

وأما عن موضوعه، فقد عرفنا قبل أن السبب في تأليفه هو الرد على من

---

(6) يقصد الخليل
(7) استدراك الغلط ــ الورقة الخامسة / الوجه
(8) يقصد الخليل
(9) المزهر 382/2

عارضه في رأيه المشهور الذي قال فيه بعدم صحة كتاب العين للخليل بن أحمد، وقد جاء هذا الرد في الشكل الذي يتصوره الباحث، وهو تقديم الادلة التي تثبت ما ذهب اليه، وعرض أخطاء العين واحدا فواحدا، مع التعليق عليها بما يراه صوابا.

وأما طريقة تأليفه، فتتلخص في الخطوات التالية :

1 ــ فقد رتب الاخطاء التي اجتمعت له من قراءاته الفاحصة للكتاب، ترتيبا معجميا يسير وفق نظام الخليل نفسه الذي يعتمد المخارج الصوتية للحروف، بدل الترتيب الالفبائي، ولذلك بدأ الزبيدي كتابه بحرف العين ــ كما فعل في المختصر والمستدرك ــ ثم بما يتلوه من الحروف حسب ذلك النظام.

2 ــ وقد عمد المؤلف بعد هذا إلى كل حرف من حروف المعجم التي يقسم اليها الكتاب، وأجراه بدوره في ستة أقسام هي :

الثنائي المضاعف ــ الثلاثي الصحيح ــ الثلاثي المعتل ــ اللفيف ــ الرباعي ــ فالخماسي على الترتيب . ولابد من أن نلاحظ أن الزبيدي سار في هذا التقسيم سيره في (مختصر العين)، الا أنه فصل هنالك بين الصحيح والمعتل من الثنائي المضاعف، في حين نراه هنا قد مزج بينهما وجعلهما قسما واحدا.

3 ــ ثم يعود الى كل قسم من الاقسام الستة المذكورة، فيورد ما تحته من الكلمات التي أخطأ فيها كتاب العين، مرتبة ترتيبا صوتيا. وطريقته هنا أنه يورد أولا الباب الذي ذكر فيه الخطأ : (باب علك ــ باب همع ــ باب عقر ...الخ) ثم يعقبه بتحديد موضع الخطأ من الكلمة ، ويتلوه مباشرة بالصواب الذي يراه. ولتوضيح ذلك، نورد هذا المثال على الطريقة الآتية:

الحـــرف	العيـــن
الصيغـــة	الثلاثي الصحيح
البـــاب	نقـــق
النـــص	«... وفي باب نَغَق [10]، يقال : نغق بالغين المعجمة أعرف، قال أبو بكر [11] : نغق غير معروف ولا صحيح الا في قولهم : نَغَقَ الراعي بالضأن اذا صاح بها. »[12].

ب ويجب التنبيه أخيرا على أن تعليقات الزبيدي وتصحيحاته قد وردت في شكل مختصر مركز ، خالية ــ على الاغلب ــ من الاستشهادات والاحالات على أقوال العلماء، ومن المصادر الكتابية والشفوية. وذلك أن الكتاب في جملته عبارة عن رسالة طويلة اقتضت طبيعتها أن تكون معلوماتها مركزة. ويعد هذا مظهرا من مظاهر اختلافه عن كتاب (المستدرك في اللغة). وأما المظهر الآخر، فيتجلى في طريقة التنظيم والترتيب التي تبدو هنا أقل تعقيدا وأكثر تبسيطا عما في الكتاب الآخر الذي اتبع فيه طريقة تفصيلية مراعيا تقاليب الكلمة وترتيبها الداخلي الدقيق.

وإذا كنا نعتبر الزبيدي باعث مدرسة العين المعجمية بالاندلس بعد القالي، فان له جانبا خاصا تميز به عن بقية معاصريه ولاحقيه، وهو المتمثل في داراساته النقدية للمعاجم ولاسيما كتاب الخليل ، ومن ثم نعتبر كتاب (استدراك الغلط) واحدا من هذه الدراسات النقدية الأصيلة، التي تدل على تضلع صاحبها في ميدان اللغة، ونقد المعاجم.

أما عن تاريخ كتابته، فليس لدينا ما يدل عليه سوى ما نستفيده من قول الزبيدي في مقدمة الكتاب : «.. ولو لم تكن قدوتنا فيما ذكرنا إلا بمن طالع جميع العلوم، وأشرف على أصناف الفنون ، وعرف أحوال العلماء وسيرهم ومراتبهم في العلم ، ومآخذهم فيه، ووقف على تاريخ أزمنتهم في مواليدهم وكتبهم وتصرفهم في

(10) يقصد : قال الخليل
(11) أي الزبيدي
(12) استدراك الغلط ــ الورقة 5/الوجه

أيام حياتهم الى انقضاء أعمارهم وانقطاع مددهم : أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله رضي الله عنه، لكنا جُدراءَ باتباع أمره، واقتفاء مذهبه، فقد عهد الي أعزه الله، وأدام خلافته، حين أمرني بتنقيح الكتاب البارع وتهذيبه والزيادة في أبوابه، ألا أحكي فيه عن الخليل حرفا...»[13].

فهو يذكر الحكم الاموي، ويمدح صفاته العلمية، ورعايته للعلماء، ثم يدعو له بدوام الخلافة. وهذا دليل صريح على أن الزبيدي وضع كتابه في خلافة الحكم التي استمرت من سنة 350 هـ الى سنة 366 هـ، بل إن في هذه المقدمة التي ننشرها ما يزيد الامر تحديدا إذ فيها ذكر (لمختصر العين) وهو كتاب بدأ تأليفه سنة 362 هـ. وهذا دليل واضح على أن (الاستدراك) وضع بعد ذلك التاريخ.

مقدمـة الكتــاب :

ونورد بعد هذا العرض، النص الكامل لمقدمة كتاب (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين)، لما له من أهمية وفائدة في ميدان الدراسات اللغوية بالاندلس. وقد جعلت النص المخطوط الوارد بالقطعة الثانية أصلا، ثم قابلت عليه النص المطبوع بمزهر السيوطي (79/1) (القطعة الثالثة) وبينت في الهوامش مواضع الاختلاف والنقص أو الاضافة، كما نبهت على كل فقرة انفرد بها الأصل المخطوط الذي أرمز له بحرف (أ)، وأما المطبوع فأرمز له بحرف (ب). هذا ولم أعول في التحقيق على النسخة الاولى من النسخ المذكورة أعلاه لتعذر الاستفادة منها في الوقت الراهن. وهذا نص المقدمة :

13) استدراك الغلط ـــ الورقة 2/ الوجه

[1 / الظهـر] :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وآله

كَتَبَ أبو بكر (1) محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي رحمه الله، الى بعض إخوانه : عَصَمَكَ اللهُ من دواعي الفتن، وأعاذك من صروف المحن، وسَلَكَ بك سبيلَ الصدق، وعرَّفك اتباع الحق، وجنَّبك الهوى وزيْغَهُ، وكرَّه إليك الكذبَ وشَيْنَه، وصل (2) إلينا — أيدك الله — كتابُكَ تذكر فيه ما أُولعَ به قومٌ من ضعفةِ أهل النظر، من التحامل علينا والتسرع بالقول فينا، بما نسبوه الينا من الاعتراض على الخليل [بن أحمد] (3) في كتابه، والتخطئة له في كثير من فصوله. وقلت إنهم قد استمالوا جماعة من الحُشْوَة (4) الى مذهبهم، وعدلوا بهم الى مقالتهم، بما لَبَّسوا به وشغّبوا (5) القول فيه، وسألتَ أن أحْسم ما نجم من إفكهم، وأرد ما نَدَرَ مِنْ (6) غَرْبِ ألسنتهم ببيان من القول مُفصِحٍ، واحتجاج من النظر مُوضِحٍ.

وقد كنت — أيدك الله في صحة تمييزك، وعظيم النعمة عليك — في نظرك جديرا ألا تعرج على قوم هم بالحال التي ذكرت، وأن يقع لهم العذر لديك بوجوه

---

(1) في (أ) ابو بكر بن محمد وهو تصحيف.

(2) هذه أول كلمة في (ب) وما قبل ذلك انفردت به (أ)

(3) الزيادة من (ب).

(4) الحشوة بالضم والكسر : الرذل الرديء من الشيء. وفي (ب) : الحشوية.

(5) في (ب) : وشنعوا.

(6) كذا في (ب) وفي (أ) : (وأورد من عرب السنتهم) ومن معاني (ندر) : زال — خرج — ظهر...

جمة، منها : تخلفهم في النظر، وقلة مطالعتهم للكتب، وجهلهم بحدود الأدب، مع أن العلة الموجبة لمقالتهم، والباعثة لتسرعهم، علة الحسد الذي لا يُداوى سقمُهُ، ولا يُؤْسى جرحه، فقد قال الحكيم :

كل العداوات قد تُرجى إفاقتُها   إلا عداوةَ من عاداك من حَسَدِ

أو ليس من العجب العجيب، والنادر الغريب، أن يتوهم علينا من به مُسْكَةٌ من نظر، أو رمق من فهم، تخطئةَ الخليل في شيء من نظره ، أو (7) الاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبه. والخليل بن أحمد واحدُ (8) العصْر، وقريعُ الدهر، وجِهْبِذُ الامة، وأستاذ أهل الفطنة الذي لم ير نظيره، ولاعرف في الدنيا عديله، وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه، وسَبَّبَ علله، وفتّق معانيه، وأوضح الحِجاجَ فيه، حتى بلغ أقصى حدوده (9)، وانتهى الى أبعد غاياته، ثم لم يَرْضِ أن يؤلف فيه حرفا، أو يرسم منه رسما، نزاهة بنفسه، وترفعا بقدره، إذ كان قد تُقدِّم الى القول عليه والتأليف فيه، فكره أن يكون لمن تقدمه تاليا، وعلى نظر من سبقه محتويا (10)، واكتفى في ذلك بما أوحى الى سيبويه من علمه، ولقّنه من دقائق نظره، ونتائج فكره، ولطائف حكمته. فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده، وألف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدم قبْله، كما امتنع (11) على من تأخر بعدهُ. ثم ألف على مذهب الاختراع وسبيل الابداع، كتابيْ : (الفرش) و (المثال) (12) في العروض، فحصر بذلك جميع أوزان الشعر، وضم (13) كل شيء منه الى حَيّزه، وألحقه بشكله، وأقام ذلك على (14) دوائر أعجزت الأذهان، وأسرت (15) الفِطن، وغَمَرت (16) الألباب. وكذلك ألف [الورقة 2 : الوجه] كتاب

---

(7) في (ب) : (والاعتراض)
(8) في (ب) : اوحـد
(9) هذه الكلمة غير واضحة في (أ)
(10) في (ب) : محتذيا
(11) الكلمة مخرومة في (أ)
(12) الكلمة مخرومة في (أ)
(13) الكلمة مخرومة في (أ)
(14) في (ب) : عن
(15) في (ب) وبهرت
(16) الكلمة في (أ) بعين مهملة

الموسيقى [17] فزمّ [18] فيه أصناف النغم، وحَصَر به أنواع اللُّحون، وحَدّد ذلك كله، ولخّصه، وذكر مبالغ أقسامه ونهايات [19] أعداده. فصار الكتابُ عبرة للمعتبرين، وآية للمتوسّمين [20]. ولما صنع إسحاق بن إبراهيم [21] كتابه في النغم واللحون، عرضه على إبراهيم بن المهدي فقال له : لقد أحسنت يا أبا محمد وكثيرا ما تحسن، فقال إسحاق : بل أحسن الخليل، لأنه جعل السبيل الى الاحسان، فقال إبراهيم : ما أحسَنَ هذا الكلام فممن أخذته ؟ قال : من ابن مقبل [22]، إذ سمع حمامة فاهتاج فقال :

ولو قَبْلَ مَبْكاها بكيتُ صبابةً   إذاً لشَفَيتُ النفسَ قبل التَّندُّم
ولكن بكتْ قبلي، فهاجَ ليَ البُكا   بُكاها، فقلتُ : الفضلُ للمتقدم

ثم [23] ذهب بعدُ في حصر جميع [24] الكلام، مذهبهُ من الاحاطة التي لم يتعاطها [25] غيره، ولا تَعَرَّضها سواه [26] فثقّف الكلام وزَمَّ جميعهُ، وبيّن قيام الأبنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف لها، بنَظرٍ لم يُتقدّمْ فيه، وإبداع لم يُسبق إليه، ورسم في ذلك رسوما أكملَ قياسها، وأعطى الفائدة بها، فكان هذا قدره في العلماء [27] ومنزلته [28] من النفّاذ والفهم، حتى قال [29] بعضُ أهل العلم : إنه لا يجوز على الصراط بعد الأنبياء عليهمُ السلام أحد أدقُّ ذهناً من الخليل. ولو أنّ الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا : (المختصر من كتاب العين)، لعلِم أنّا نزّهنا الخليل عن نسبة المُحالِ إليه، ونفينا عنه من القول ما لا

---

(17) الكلمة مخرومة في (أ)
(18) الكلمة مخرومة في (أ)
(19) الكلمة مخرومة في (أ)
(20) الكلمة مخرومة في (أ)
(21) إسحاق بن إبراهيم الموصلي، كان على معرفة بكثير من العلوم ، والفنون، كالكلام، والفقه، واللغة، والشعر، والموسيقى، والغناء. وتوفي سنة 235 هـ (انظر ابن خلكان 202/1 — وابن النديم ص 201).
(22) هو تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، شاعر مخضرم.
(23) الكلمة مخرومة في (أ)
(24) في (ب) : جمع
(25) في (ب) : لم يتعاطاها
(26) في (ب) : أحد سواه. وتعرض : تصدى
(27) في (ب) : في العلم
(28) في (ب) : ومبلغه
(29) في (ب) : لقال

يليقُ به. ولم نَعْدُ في ذلك ما كان عليه أهلُ العلم وحُذَّاقُ أهل النظر، وذلك أنّا قلنا في صدر الكتاب :

« ونحن نرْبَأُ بالخليل عن نسبة الخَلل إليه أو التعرض للمقاومة له، بل نقول : إن الكتاب لا يصح له، ولا يَثْبُتُ عنه، وأكبر [30] الظن فيه أن الخليل سَبَّبَ أصلَهُ. وثقف كلام العرب[31] ثم هلك قبل كماله، فتعاطى إتمامه مَنْ لا يقوم في ذلك مقامه، فكان ذلك سبب الخلل الواقع به [32]، والخطأ الموجود فيه ».

وهذا لفظنا نصّا، وقد وافقنا بذلك [33] مقالة أبي العباس أحمد بن يحيى [34] ثعلب قَبلَ أن نُطالعها، أو نسمع بها، حتى أَلْفَيْناها في بعض كتب أمير المؤمنين ــ الحَكَم المُسْتَنْصِر رضي الله عنه ــ بخط الصُّولي [35] في ذكر فضائل الخليل، قال الصولي :

«سمعت [36] ثعلبا يقول : إنما وقع الغلط في كتاب الخليل ، لأن الخليل رَسَمه ولم يحْشُه، ولو أن الخليل هو حَشاهُ، ما بَقّى فيه شيئا، لأن الخليل رجلٌ لم يُرَ مثلُه. وقد [37] حشا الكتاب قوم علماء، إلا أنه لم يؤخذ عنه رواية وإنما وجد بنقل [38] الورّاقين، فلذلك اختل [2 : ظ] الكتابُ» .

ومن الدليل على ما ذكره أبو العباس من زيادات الناس فيه. اختلافُ نُسخِهِ واضطراب رواياته [39] الى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين، والاستشهاد بالمرذول من أشعار المُحدَثين [40]. فهذا كتاب منذر [41] بن سعيد

---

(30) في (ب) : أكثر
(31) في (أ) : العرب فيه
(32) في (أ) : فيه
(33) في (أ) : وافقنا على ذلك
(34) في (أ) : يحيى بن ثعلب
(35) في (ب) : إختصار للجملة الأخيرة على هذا النحو : (حتى ألفيناها بخط الصولي)
(36) (ب) : سمعت أبا العباس ثعلبا
(37) في (ب) : قال وقد.....
(38) الكلمة في (أ) مخرومة الأول
(39) الكلمة في (أ) مخرومة.
(40) في (أ) : المحدثين فيه
(41) في (ب) : كتاب ابن منذر بن سعيد. وهو تصحيف

القاضي الذي (42) كَتَبَه بالقيروان، وقابله بمصر بكتاب ابن ولّاد (43) وكتاب ثابت (44) المُنتسخ بمكة، قد طالعناهما في خزانة أمير المؤمنين (45)، فألفينا في كثير من أبوابهما : أخبرنا المسعري (46) عن أبي عبيد (47) وفي بعضها (48) قال ابن الأعرابي (49)، وقال الاصمعي (50) فهل يجوز أن يكون الخليل يروي عن الأصمعي وابن الاعرابي أو أبي عبيد، فضلا عن المسعري ؟ وكيف يروي الخليل عن أبي عبيد، وقد توفي الخليل سنة سبعين ومائة، وفي بعض الروايات سنة خمس وسبعين ومائة، وأبو عبيد يومئذ ابنُ ستَّ عشرةَ سنة، وعلى الرواية الأُخرى ابنُ إحدى وعشرين سنة ؟ لان مولد أبي عبيد سنة أربع وخمسين ومائة، ووفاتُهُ سنة أربع وعشرين ومائتين. ولا يجوز أن يسمع من (51) المسعري عِلْمُ أبي عبيد إلا بعد موته، وكذلك كان سماع الخُشَني (52) منه سنة سبع وأربعين ومائتين، فكيف نسمع (53) الموتى في حال مَوْتهم، أو يَنْقُلُون عمَّن وُلِدَ من بعدهم ؟

وحدثنا إسماعيل بن القاسم البغدادي (54) قال :

« لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم (55) أنكره أبو حاتم وأصحابُه أشدَّ الانكار، ودَفَعَهُ بأبلغ الدفع » (56).

---

(42) هذه الكلمة ساقطة من (أ)

(43) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد (ت 332 هـ) (انظر الوعاة : 169 — وانباه الرواة 1/99 — وطبقات الزبيدي ص 219)

(44) وهو ثابت بن عبد العزيز السرقسطي. وفي (ب) : أبي ثابت.

(45) يقصد الحكم المستنصر

(46) هو محمد بن وهب المسعري من تلاميذ أبي عبيدة القاسم بن سلام، وقد سلكه الزبيدي في الطبقة الرابعة من اللغويين الكوفيين ولم يذكر له ترجمة (انظر الطبقات ص 206)

(47) هو أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة 223 هـ أو 224 هـ

(48) الكلمة مخرومة في (أ)

(49) هو ابو عبد الله محمد بن زياد المتوفى سنة 232 هـ

(50) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب المتوفى سنة 213 هـ أو 217 هـ.

(51) في (أ) : عن

(52) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني، رحل الى الشرق ومكث حوالي خمس وعشرين سنة، وسمع عن المازني وأبي حاتم والرياشي والمسعري وغيرهم، وهو من رجالات الاندلس المشهورين بالحديث، وقد توفي سنة 286 هـ (انظر جذوة الحميدي 63 — وطبقات الزبيدي ص 268)

(53) في (ب) : يسمع

(54) في (ب) زيادة من السيوطي وهي قوله : (وهو أبو علي القالي)

(55) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني توفي سنة 250 هـ أو 255 هـ

(56) هنا ينتهي قول أبي علي، وما بعده كلام الزبيدي، وقد وهم بعض الدارسين فنسبوا ما ليس له، وبنوا على ذلك أحكاما لا تصح

وكيف لا يُنكره أبو حاتم على أن يكون بريئا من الخلل سليما من الزَّلل ؟ وقد غَبَرَ أصحابُ الخليل بعدَه (57) مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به، منهم النضر بن شميل (58) ومؤرج السَّدوسي (59) ونصر بن علي (60) وأبو الحسن الاخفش (61) وأمثالهم. ولو أن الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه، وكانو أولى بذلك من رجل مجهول الحال غير مشهورٍ في العلم، انفرد به، وتَوَحَّد بالنقل له (62). ثم درج أصحاب الخليل، فتوفى النضر بن شميل (63) سنة ثلاث ومائتين، والاخفش سنة خمس عشرة ومائتين ومؤرج سنة خمس وتسعين [ومائة] (64)، ومضت بعدُ (65) مدة طويلة، ثم ظهر الكتاب بأخَرَةٍ من (66) زمن أبي حاتم وفي حال رياسته، وذلك فيما قارب (67) الخمسين والمائتين، لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومائتين، فلم يلتفت أحد من العلماء إليه حينئذ (68) ولا استجازوا رواية حرفٍ منه، ولوصَحَّ (69) الكتاب عن الخليل لبادر الاصمعي واليزيدي وابن الاعرابي وأشباهُهم (70) الى تزيين كتبهم، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل

---

(57) في (ب) : بعد

(58) أخذ النضر عن الخليل وعن فصحاء العرب، وأخذ عنه أبو عبيد، توفي سنة 203 أو 204 هـ (انظر نزهة الالباء 85 ـــ والوعاة (404) وطبقات الزبيدي 55)

(59) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي أخذ عن أبي زيد وصحب الخليل، وتوفي سنة 195 هـ وكلمة : (السدوسي) ساقطة من (ب)

(60) هو نصر بن علي الجهضمي اللغوي البصري من أصحاب الخليل هكذا ترجم له القفطي (345/3)، وذكر الزبيدي في الطبقات (ص 75) والسيوطي في الوعاة (ص 358) أن صاحب الخليل هو على بن نصر الجهضمي المتوفى سنة 187 هـ وهو والد نصر بن علي.

(61) وهو الأخفش الاوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة أخذ عن سيبويه

(62) ذكر ابن النديم كتاب الخليل فقال : «.. قال أبو بكر بن دريد : وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين، قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا وكان سمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق. وقيل إن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية، ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد، ولا روي في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة، وقيل إن الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة، وأن الخليل عمله له وأحذاه طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » ص 64

(63) سقطت من (أ) كلمة : (بن شميل)

(64) زيادة أضافها محقق المزهر

(65) في (أ) : بعده

(66) في (ب) في

(67) الكلمة مخرومة في (أ)

(68) في (ب) : يومئذ

(69) الكلمة مخرومة في (أ)

(70) نفس التعليق

لعلمه. وكذلك مَنْ بَعْدَهم كأبي حاتم وأبي عبيد ويعقوب (71) وغيرهم من المصنفين. فما علمنا أحدا منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفا.

ومن الدليل على صحة ما ذكرناه : أن جميع ما وقع فيه من معاني (72) [3 /و] النحو، إنما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين، فمن ذلك ما بُدِىءَ (73) الكتابُ به، وبُنِيَ عليه من ذكره مخارجَ الحروف في تقديمها وتأخيرها، وهو (74) على خلاف ماذكره سيبويه عن الخليل في كتابه (75). وسيبويه حاملُ علم الخليل وأوثقُ الناس في الحكاية عنه، ولم يكن ليختلف (76) قولُهُ ولاليتناقض مذهبه. ولسنا (77) نريد تقديم حرف العين خاصة للوجه الذي اعتل به (78)، ولكن تقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها، وكذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف، وهو مذهب الكوفيين خاصة، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله الى آخره، إلى ما سنذكره من نحو هذا ــ إن شاء الله ــ (79). ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكلَ عليه تثقيفُ (80) الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل، والثنائي المضاعف من المعتل، والثلاثي المعتل بعلتين. ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف، فأدخل بعضه في بعض وخَلَطه (81) خلطا لا ينفصل منه شيءٌ عما هو بخلافه، ولَوَضعَ الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة، ليستبين معتلُّ الياء من معتل الواو والهمزة، ولما خَلَط الرباعي والخماسي من أولهما الى آخرهما.

ونحن على قَدْرنا قد هذبنا جميعَ (82) ذلك في كتابنا المختصر منه، وجعلنا

---

(71) هو أبو يوسف يعقوب بن السكيت من العلماء بنحو الكوفيين (ت 244 أو 246 هـ)
(72) الكلمة غير واضحة في (أ)
(73) مخرومة في (أ)
(74) نفس التعليق
(75) الكلمة مخرومة في (أ)
(76) في (أ) : لتختلف
(77) مخرومة في (أ)
(78) نفس التعليق
(79) الجملة ساقطة من (ب)
(80) في (أ) : تنقيل
(81) في (ب) : وخلط فيه
(82) سقطت هذه الكلمة من (أ)

لكل شيء منه بابا يحصره، وعددا يجمعه، وكان الخليل أولى بذلك وأجدر (83). ولو لم تكن (84) قدوتنا فيما ذكرنا إلا بمن طالع جميع العلوم، وأشرف على أصناف الفنون، وعرف أحوال العلماء وسِيَرهم ومراتِبَهم في العلم ومآخذهم فيه، وَوَقَف على تاريخ أزمنتهم في مواليدهم وكتبهم، وتصرفهم في أيام حياتهم إلى انقضاء أعمارهم وانقطاع مُدَدهم، أمير المومنين الحَكم المستنصر بالله رضي الله عنه، لكنا جُدراءَ باتباع أمره، [واقتفاء] (85) مذهبه. فقد عَهِدَ إليَّ أعزه الله وأدام خلافته — حين أمرني بتنقيح الكتاب البارع (86) وتهذيبه والزيادة في أبوابه — ألا أحكي (87) فيه عن الخليل حرفا، وأن أنسب (88) ما وقع في الكتاب عنه مما لم يذكره غيره من العلماء الى كتاب العين، تَوَخِّيا للحق وقصْدا الى الصدق.

وأنا ذاكر الآن من الخطأ الواقع في كتاب العين، ما لا يذهب على من شَدا شيئا من النحو، أو طالع باباً من الاشتقاق والتصريف، ليقوم لنا العُذْرُ فيما نزَّهنا الخليلَ عنه (89). وندع استقصاء ذلك كله، إذ قد ذكرناه بكماله في كتابنا الاول، [فمن شاء] (90) أن يراه [بتمامه] (91) نظر في ذلك الكتاب فألفاه مجموعا فيه (92). [فـ] (93) إن أنْصَفَنا الطاعنُ جعَلَ مكانَ لومه حَمْدا، وبَدَلَ ذمه مَدْحا، وإن استمرَّ في غيه وتمادَى في جهله، لم نحفل بذلك منه. واستبانَ لمن نظن جهله وعنادَه [3 / ظ] إن شاء الله. [انتهى].

---

(83) هنا تدخل السيوطي لحذف فقرة من كلام المؤلف، وذلك من قوله : (ولو لم تكن قدوتنا) الى قوله : (ولم نحك عن الخليل حرفا ...)

(84) في الأصل : نكي

(85) الكلمة مخرومة في الأصل، وهي هنا من تقديرنا

(86) وهو (البارع في اللغة) لابي علي القالي

(87) هنا استؤنف الكلام في (ب) ولكن بعبارة مغايرة فقال : (ولم نحك فيه عن الخليل ..)

(88) في (ب) غيرت العبارة على هذا النحو : « ولم نحك فيه عن الخليل حرفا. ولا نسبنا ما وقع في الكتاب عنه ».

(89) هنا ينتهي النص الذي نقله السيوطي من المقدمة

(90) العبارة من تقديرنا وهي مخرومة في الأصل

(91) الكلمة مخرومة في أولها، وهي هنا من تقديرنا

(92) لاشك أن الكتاب الذي يحيل عليه المؤلف هو (مختصر العين) إذ لم يكن مجرد اختصار بل فيه تنقيح وتهذيب لما جاء مختلا، وتقويم للابواب المختلطة وحذف للشواهد وغير ذلك وقد أشار الزبيدي الى بعض ما صنعه في هذا المختصر، فقال في مقدمته : (ومذهبنا أن نصلح ما ألفيناه مختلا في الكتاب وأن نوقع كل شيء منه مواقعه، ونضعه في بابه ان شاء الله)

(93) زيادة يقتضيها السياق، وليست بالاصل.

مكتبـــة البحـــث

ابن سيدة المرسي

ـــ دار يوكابا نيلاس ـــ تعريب حسن الوراكلي (نشر في حلقات بمجلة المناهل المغربية ابتداء من العدد الأول . ثم أعيد طبعه في كتاب مستقل بدار النشر التونسية)

أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة .

ـــ نعمة رحيم العزاوي ـــ مطبعة الآداب ـــ النجف ـــ 1975

أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس .

ـــ عبد العلي الودغيري ـــ فضالة ـــ المغرب ـــ 1983

استدراك الغلط الواقع في كتاب العين

ـــ أبو بكر الزبيدي ـــ مخطوط خزانة القرويين رقم : 118

إنباه الرواة على أنباه النحاة

ـــ القفطي (علي بن يوسف) ـــ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط 1 . القاهرة 1952

البارع في اللغة

أبو علي القالي :

1) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم : 4235.

(De Slane's catalogue)

2) قطعة نشرها المستشرق : فولتون ــ لندن 1933
3) مطبوع بتحقيق : هاشم الطعان
ــ بغداد . 1975

بغية الآمال في معرفة مستقبلات الأفعال
ــ أبو جعفر اللبلي الأندلسي ــ تحقيق جعفر ماجد ــ الدار التونسية للنشر ــ 1972

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس
ــ الضبي (أحمد بن يحيى)، القاهرة : 1967

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
ــ السيوطي (عبد الرحمن) ــ بيروت ــ بدون تاريخ

تاريخ الأدب العربي .
ــ كارل بروكلمان ــ ترجمة د . عبد الحليم النجار
ــ دار المعارف ــ مصر ــ 68 ــ 1969

تاريخ العلم والعلماء والرواة للعلم بالأندلس .
ــ ابن الفرضي (أبو الوليد) ــ نشر عزت العطار الحسيني ــ مصر : 1954

تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب
ــ أبو حيان (أثير الدين) ــ تحقيق : د. أحمد مطلوب و. د . خديجة الحديثي ــ بغداد 1977

تذكرة الحفاظ .
ــ الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين) ط . 4 دار المعارف العثمانية : 1958 م

التكملة لكتاب الصلة .
ــ ابن الأبار (محمد بن عبد الله القضاعي)

1) طبعة كوديرا زيدان سنة 1886 بجريط
2) طبعة مصر ـــ نشر عزت العطار الحسيني سنة 1956

الجامع لقوى الأغذية والأدوية (أو : مجمع الفوائد في الفرائد)
ـــ ابن البيطار (أبو محمد عبد الله بن أحمد).
1) ط. مصر . 1291 م
2) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم :759د

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس
ـــ الحميدي (أبو عبد الله) ـــ تحقيق محمد بتاويت الطنجي ـــ القاهرة 1953 م

الحركة اللغوية في الأندلس .
ـــ ألبير حبيب مطلق ـــ بيروت . 1967

الدراسات اللغوية في العراق .
د. عبد الجبار جعفر القزاز ـــ بغداد 1981

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .
ـــ ابن فرحون (إبراهيم). ط 1. مصر 1351 هـ

ديباجة القاموس المحيط .
ـــ الهوريني (نصر) ـــ مطبوعة بمقدمة القاموس المحيط للفيروز بادي .
ط 2 ـــ مصر 1952 م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
ـــ ابن بسام (أبو الحسن علي) ـــ القسم الأول المجلد 1 ـــ القاهرة 1939.

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة .
ـــ المراكشي (محمد بن عبد الملك) ـــ السفر السادس ـــ تحقيق : د.

إحسان عباس ـــ بيروت دار الثقافة ـــ ط 1. سنة 1973

السند التونسي في علم متن اللغة
ـــ ابن عاشور (محمد الفاضل) ـــ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـــ
ج 19 سنة 1965

شذرات الذهب في أخبار من ذهب .
ـــ ابن العماد الحنبلي ـــ بيروت (بدون تاريخ)

الصحاح ومدارس المعجمات العربية
ـــ أحمد عبد الغفور ـــ عطار ـــ ط 2 بيروت 1967

الصلـــــــة
ـــ ابن بشكوال (أبو القاسم).
ـــ نشرة عزت العطار الحسيني ـــ مصر 1955

طبقات النحويين واللغويين
ـــ أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
ـــ ط 2 . دار المعارف ـــ القاهرة 1973م

عيون الأنباء في طبقات الأطباء .
ـــ ابن أبي أصيبعة ـــ تحقيق نزار رضا ـــ بيروت سنة 1965

الفصـــــــوص
ـــ صاعد البغدادي
1) مخطوط القرويين بفاس رقم : خ 40 /587
2) مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم : 1668 ك

فضائل الأندلس وأهلها (رسائل ابن حزم ـــ ابن سعيد ـــ الشقندي)
ـــ نشرها وقدم لها : د. صلاح الدين المنجد . ط. أولى . بيروت 1968

ـــ ابن النديم ـــ مصر : 1348 هـ

فهرست ما رواه عن شيوخه
ـــ ابن خير الاشبيلي ـــ ط 2 سنة 1963

فوات الوفيات
ـــ محمد بن شاكر الكتبي ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ القاهرة ـــ 51 /1953

كتاب الأفعال
ـــ ابن القوطية ـــ تحقيق علي فودة ـــ ط 1. مصر 1952 م

كتاب الأفعال
ـــ ابن الحداد السرقسطي (أبو عثمان سعيد بن محمد) ـــ تحقيق د. حسين محمد محمد شرف ـــ القاهرة 1975 /1980

كتاب الأفعال
ـــ ابن القطاع (أبو القاسم علي بن جعفر) طبعة مصورة عن طبعة الهند ـــ بيروت 1983

كتاب الدلائل
ـــ قاسم بن ثابت السرقسطي
الجزءان الثاني والثالث ـــ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 197 ق

كتاب السماء والعالم
ـــ محمد بن أبان بن سيد اللخمي ـــ جزء 3 مخطوط القرويين رقم : 194

كتاب العين
ـــ الخليل بن أحمد الفراهيدي ـــ ج 1. تحقيق عبد الله درويش ـــ بغداد 1967

كتاب المسلسل في غريب لغة العرب
ـــ التميمي (أبو الطاهر محمد بن يوسف) تحقيق محمد عبد الجواد
ـــ القاهرة ـــ 1957

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
ـــ حاجي خليفة ـــ مكتبة المثنى ـــ بغداد (بدون تاريخ)

المثلث
ـــ لابن السيد البطليوسي :
1) مخطوط قسم الوثائق بالرباط رقم : 45 ق
2) مطبوع بتحقيق ودراسة الدكتور صلاح مهدي علي
الفرطوسي ـــ بغداد 1981

مثلثات قطرب
ـــ تحقيق رضا السويسي ـــ الدار العربية للكتاب ـــ تونس ـــ ليبيا سنة
1978

المحكم والمحيط الأعظم في اللغة
ـــ ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل) ـــ تحقيق : مصطفى
السقا ـــ د . حسين نصار . ط 1 مصر 1958م
مختصر العين
ـــ الزبيدي (أبو بكر محمد بن حسن)
أ ـــ مخطوط القرويين بفاس رقم : ط 80 /363
ب ـــ قطعة منشورة بتحقيق علال الفاسي ومحمد بنتاويت الطنجي ـــ
الدار البيضاء 1963

المخصص لابن سيدة (دراسة ـــ دليل)
ـــ محمد الطالبي ـــ تونس 1956

ـــ مراتب النحويين
ـــ أبو الطيب اللغوي ـــ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ القاهرة
1955م

المزهر في علوم اللغة وأنواعها
ـــ جلال الدين السيوطي ـــ نشر محمد أحمد جاد المولى وزميليه
ـــ مصر ـــ بدون تاريخ

المستدرك في اللغة على كتاب العين
ـــ أبو بكر الزبيدي ـــ مصور بقسم الوثائق بالرباط على الشريط رقم :
647 ق
عن الأصل المحفوظ بخزانة القرويين رقم 64

المعاجم العربية
ـــ د. عبد الله درويش ـــ مصر ـــ 1956

معجم الأدباء
ـــ ياقوت الحموي ـــ مطبوعات دار المأمون ـــ مصر 1958 ـــ
(الناشر : ن مرجليوت)

المعجم العربي نشأته وتطوره .
د. حسين نصار ، القاهرة 1956

معجم المؤلفين
ـــ عمر رضا كحالة ـــ دمشق 1957م

المقتبس في أخبار بلاد الاندلس
ـــ ابن حيان (أبو مروان) ـــ قطعة بتحقيق عبد الرحمن الحجي ـــ
بيروت 1965

المقدمة
ـــ ابن خلدون (عبد الرحمن) ـــ تحقيق علي عبد الواحد وافي . طبعة
أولى 1962م

المقصور والممدود
ـــ أبو علي القالي ـــ مصور بقسم الوثائق بالرباط على الشريط رقم 967
عن أصل كان في ملك المرحوم الأستاذ محمد الجواد الصقلي

نزهة الألباء في طبقات الأدباء

ـــ ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن) ـــ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ القاهرة : 1967م

نظرات في اللغة عند ابن حزم

ـــ سعيد الأفغاني ـــ ط 2 بيروت 1969

نفـــح الطيـــب

ـــ أحمد المقري ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــ ط 1 ـــ مصر 1949

نكت الهميان في نكت العميان

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) طبعة أحمد زكي باشا ـــ مصر 1911.

نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء

ـــ اختصار : اليغموري (أبي المحاسن يوسف ابن أحمد بن محمود)

ـــ تحقيق رودلف زلهايم ـــ فيـــادن 1964

هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)

ـــ البغدادي (إسماعيل باشا) ـــ طبعة مصورة بالأوفسـت ببغداد عن طبعة اصطنبول 1951م

الوافـــي بالوفيـــات

ـــ الصفدي (صلاح الدين) ـــ الطبعة 3

وفيـــات الأعيـــان

ـــ ابن خلكان ـــ تحقيق . د. إحسان عباس ـــ

دار صادر ـــ بيروت 1972

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

ـــ الثعالبي (أبو منصور) ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط.2 القاهرة 1956م.

ثبت الموضوعات

إضاءة .... ص 5
مقدمة .... ص 7

1 ـ في اتجاه العين .... ص 11
معجم الخليل بالأندلس .... ص 13
1 ـ 1 كتاب البارع في اللغة .... ص 20
ـ تأليفه .... ص 20
ـ منهجه .... ص 24
ـ بعض خصائصه .... ص 34
ـ هل البارع هو كتاب العين ؟ .... ص 38
1 ـ 2 ـ دراسات حول العين والبارع .... ص 39
1 ـ 2 ـ 1 ـ ما دار حول البارع .... ص 41
ـ جوامع كتاب البارع .... ص 46
ـ استدراك على البارع .... ص 47
1 ـ 2 ـ 2 ـ ما دار حول العين .... ص 48
ـ مختصر العين .... ص 49
ـ استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .... ص 50
1 ـ 2 ـ 3 ـ ما دار حول البارع والعين معا .... ص 51
ـ المستدرك في اللغة .... ص 51
1 ـ 3 ـ معاجم على طريقة العين .... ص 54
ـ كتاب المحكم .... ص 55
ـ تلخيص المحكم للرعيني .... ص 57
ـ تلخيص المحكم للعنسي .... ص 57
ـ رد على المحكم لابن برجان .... ص 57
ـ المبرز في اللغة .... ص 57

2 ــ في اتجاه الألفباء...ص 59
2 ــ 1 ــ الموعب...ص 62
2 ــ 2 ــ ما دار حول الصحاح

3 ــ في اتجاه المعاني...ص 69
3 ــ 1 ــ كتاب السماء والعالم..ص 73
3 ــ 2 ــ المخصص...ص 86

4 ــ في اتجاه خاص...ص 89

5 ــ نحو معجم متخصص...ص 97
5 ــ 1 ــ نحو معاجم الأبنية...ص 100
أ) كتب الأفعال..ص 100
ملاحظات على كتاب ابن الحداد..ص 104
ب) كتب الأسماء...ص 108
5 ــ 2 ــ نحو معاجم المعربين...ص 110
5 ــ 3 ــ نحو معاجم الطب والصيدلة.....................................ص 114
خاتمة...ص 118
ملحق...ص 121
ــ كتاب استدراك الغلط للزبيدي..ص 123
ــ مقدمة الكتاب..ص 138
ــ مكتبة البحث...ص 149

